الباب الثالث

الحجاب وعمل المرأة وتعدد الزوجات بين أحكام الإسلام ومطالب قاسم أمين

الفصل الأول : الحجاب بين أحكام الإسلام ومطالب قاسم أمين .

الفصل الثانى : عمل المرأة فى الإسلام .

الفصل الثالث : تعدد الزوجات فى الإسلام .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
الحجاب بين أحكام الإسلام
ودعوة قاسم أمين

المبحث الأول : الآداب الداخلية التى تزين عقل المرأة وتحسن آدابها وتعلو بخلقها .

المبحث الثانى : الآداب الخارجية التى تظهر أدب وخلق المرأة وتدعو لاحترامها .

المبحث الثالث : آداب الحجاب داخل البيت .

المبحث الرابع : معانٍ ومفاهيم خاطئة عن الحجاب فى الإسلام .

المبحث الخامس : الحجاب بين المؤيد والمعارض فى بداية الدعوة لتحرر المرأة .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

الحجاب بين أحكام الإسلام ودعوة قاسم أمين

توطئة :

أحكام الحجاب فى الإسلام هى أهم أحكام مُنظمة لحياة المرأة بصفة خاصة وحياة المجتمع بأسره بصفة عامة ، فالمرأة هى المجتمع كله وليست نصفه كما يظن البعض .

وحجاب المرأة هو مرآة صلاح المجتمع أو فساده ، فإن كان وفقًا لأحكام الإسلام وتعاليمه كان هو السبيل لإعلاء شأن المرأة وازدهار المجتمع فكريًا وخُلقيًا ودينيًا ، إضافة إلى القضاء على أمراض المجتمع الاجتماعية والاقتصادية والصحية .

أما اتباع الأحكام غير الإسلامية مهما كان مسماها فى تنظيم شؤون المرأة ، فهذا لا يعنى سوى أمر واحد لا ثانى له ، ألا وهو ضياع المرأة وبداية نهاية المجتمعات بضياع كافة المبادئ الخلقية ، وبعدها الأحكام الدينية ، ثم موت الحضارات .

معنى الحجاب :

الحجاب لغويًا : هو المنع والستر نقول : « حجب السحاب ضوء الشمس يعنى : منعه وستره من الظهور ، ومنه اشتقت كلمة الحاجب أى : الذى يمنع وصول أى خطر إلى العين » (١) .

الحجاب شرعا : هو مجموعة آداب قويمة وأخلاق سامية ، وأحكام عادلة، هدفها حماية المرأة وحفظ جمالها وحيائها وعفتها من لهو العابثين ونظرات الجائعين وشهوات المفترسين و الذين يبغون دك حصن لا حق لهم فيه ، وهتك

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (حجب) .

عرض لا سبيل لهم إليه ، إلا بما أحل الله ، وهو ليس ـ كما يعتقد البعض ـ سجنًا صغيرًا يحبسها فى ملابس مقيدة لحريتها ، حاجبًا لزينتها وجمالها ، كما أنه ليس سجنًا كبيرًا تخفى جدرانه ما به من نساء سجينات ، هو لهن قبر فى حياة ، لا بعث فيها ولا خروج إلا بعد الممات .

ولكنه آداب داخلية تزين عقل المرأة ، فتُحسن طباعها ، وتعلو بأخلاقها ، كما أنه آداب خارجية تظهر ما بها من عِفة وخلق قويم ، إضافة إلى آداب داخل منزلها تنظم علاقاتها بالغير ، وهدف كل هذه الآداب والأحكام الأمن من الفتنة ومقاومة ضعف النفس البشرية ، وقطع طريق الشيطان من وإلى المرأة مرورًا بالرجال .

ونظرًا لأهمية حجاب المرأة فى تنظيم شؤون المجتمع ، فإن تعاليم الحجاب جاءت صريحة فى القرآن الكريم ، وأوضحت السنة ما أجمله القرآن الكريم ، فبينت مجمله وفسرت مشكله .

وكعادة دعاة التحرر منذ عهد بعيد حتى يومنا هذا وغدًا وبعد غدٍ ، فالدعوة لتحرر المرأة قامت فى مبدئها باسم الدين ثم انتهت بعيدة كل البعد عن الدين .

فها هو قاسم أمين ينادى فى بداية دعواه بضرورة اتباع أحكام الإسلام فيما يخص الحجاب ، ثم يبتعد عنها تدريجيًا فيقول : « ربما يتوهم ناظر أننى أرى الآن رفع الحجاب بالمرة ، لكن الحقيقة غير ذلك ، فإننى لا أزال أدافع عن الحجاب وأعتبره أصلاً من أصول الأدب التى يلزم التمسك بها ، غير أنى أطلب أن يكون منطبقًا على ما جاء فى الشريعة الإسلامية وهو ـ على ما فى تلك الشريعة ـ يخالف ما تعارفه الناس عندنا ، لما عرض عليهم من حب المغالاة فى الاحتياط والمبالغة فيما يظنونه عملا بالأحكام حتى تجاوزوا حدود الشريعة وأضروا بمنافع الأمة » .

كما انتقد التحرر الغربى فقال : « والذى أراه فى هذا الموضوع هو أن الغربيين قد غلوا فى إباحة التكشف للنساء إلى درجة يصعب معها أن تتصون المرأة من التعرض لمثارات الشهوة وما لا ترضاه عاطفة الحياء . وقد تغالينا نحن فى طلب التحجب والتحرج من ظهور النساء لأعين الرجال حتى صيرنا المرأة أداة

من الأدوات أو متاعًا من المقتنيات ، وحرمناها كل المزايا العقلية والأدبية التى أعدت لها بمقتضى الفطرة الإنسانية . . وبين هذين الطرفين وسط سنبينه ـ هو الحجاب الشرعى ـ وهو الذى أدعو إليه » (١) .

وإلى هنا نلاحظ توافق وتطابق دعوة قاسم أمين مع أحكام الإسلام .

ثم يهاجم البرقع والنقاب فيقول : « على أن البرقع والنقاب مما يزيد فى خوف الفتنة ؛ لأن هذا النقاب الأبيض الرقيق الذى تبدو من ورائه المحاسن وتختفى من خلفه العيوب ، والبرقع الذى يختفى تحته طرف الأنف والفم والشدقان ويظهر منه الجبين والحواجب والعيون والخدود والأصداغ وصفحات العنق هذان الساتران يعدان فى الحقيقة من الزينة التى تحث رغبة الناظر وتحمله على اكتشاف قليل خفى بعد الافتتان بكثير ظهر ، ولو أن المرأة كانت مكشوفة الوجه لكان فى مجموع خلقها ما يرد فى الغالب البصر عنها » (٢) .

والملاحظ فى الفقرة السابقة بداية الدعوة لكشف الوجه ، ثم يبدأ بعد ذلك فى نقد آداب الحجاب ولكن من وراء حجاب ، فيقول : « ومزاياه تنحصر فى أمر واحد هو أنه يقلل الزنا ، حيث يحول بين الصنفين ، ويمنع الاختلاط بينهما فى الظاهر ، وإن لم ينزع الميل إليه من النفوس ، فيكون ما يسمونه عفة على حد ما قيل : « إن من العصمة ألا تجد ، فالأجساد فى صيانة ، وأغلب القلوب فى خيانة ! وأما الحرية فمزاياها هى إزالة جميع المضار التى تنشأ عن الحجاب» (٣) .

وهنا جاءت الدعوة صريحة للحرية حيث إنها تزيل مضار الحجاب ، إذن البداية : الدعوة للحجاب وفقًا لتعاليم الإسلام ، والنهاية : أن الحرية هى السبيل الوحيد لإزالة مضار الإسلام !!

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص ٦٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٠ ، ٦١ .

ونحن نشاطره الرأى حيث نرى الكثير من المتحجبات اليوم يجعلن من الحجاب ـ أحيانًا ـ أساسًا للزينة والإغراء ، جريًا وراء الموضات الغربية وليس تنفيذًا للشريعة الإسلامية .

(٣) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص ٤٨ .

هذا ، وسنقوم فى هذا الفصل بدراسة المباحث التالية :

المبحث الأول : الآداب الداخلية التى تزين عقل المرأة وتُحسن آدابها وتعلو بخلقها .

المبحث الثانى : الآداب الخارجية التى تظهر أدب وخلق المرأة وتدعو لاحترامها .

المبحث الثالث : آداب الحجاب داخل البيت .

المبحث الرابع : معانٍ ومفاهيم خاطئة عن الحجاب فى الإسلام .

المبحث الخامس : الحجاب بين المؤيد والمعارض فى بداية الدعوة لتحرير المرأة.

obeikandl.com

المبحث الأول

الآداب الداخلية التى تزين عقل المرأة وتُحسن آدابها وتعلو بخلقها

حُسن التربية وصلاح التعليم :

ونقصد بها التربية والتعليم وفقًا لما جاء فى القرآن والسنة وعمل الصحابة والتابعين وآراء علماء الدين الأجلاء لتحقيق ذلك .

وهذا النوع من الزينة يحجب المرأة عن الخطأ وينأى بها عن الخطيئة ، وأساسه هو التعليم فى الصغر ، الذى يعتمد على التعاليم الدينية بما تتضمنه من أخلاق ، وتدعو إليه من كمال الآداب ، وأيضًا التعاليم الأخرى من لغة وتاريخ وطب وغير ذلك .

أما التربية فلا تتم إلا إذا كانت الأسرة والمجتمع هما القدوة الفعلية للأبناء والبنات ، والقدوة لا تصلح إلا إذا طابق القول العمل والفعل ، ففضائل الآباء هى النبع الصافى لفضائل الأبناء ، ورذائل الآباء هى مستنقع مخازى الأبناء .

ويقول الله جل وعلا عن أهمية موافقة العمل للقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُون ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٣ ﴾ [الصف : ٢ ، ٣] .

ويجب أن نتدبر اللفظ **﴿ كَبُرَ مَقْتًا ﴾** ومعناه أقصى وأكبر ما يكره الله فى عباده هو عدم موافقة الأعمال للأقوال (١) .

ويقول تعالى عن أهمية العلم : **﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُون ﴾** الآية [الزمر : ٩] ، فلا ارتقاء لفكر بدون العلم ، ولا نجاح فى تربية نشء إلا به، ولا مشاركة ايجابية فى تقدم المجتمع إلا باكتساب العلوم وتنمية المهارات ، فبالعلم تُعز المرأة ، وبالجهل تذل المرأة وإن أعلى من شأنها الجمال ، وبالعلم

(١) للأسف أصبح ذلك حاليًا سُنة جارية على جميع المستويات إلا من رحم ربى .

والتربية الإسلامية الصحيحة تنتصر المرأة على تقلبات الدهر ، فإن مال الدهر بمالها لم تمل بعزتها ، وإن فض الزمان فضتها لم يفض كرامتها ، وإن ذهبت السنون بذهبها لم يذهب عفافها .

وقال الرسول ﷺ مشجعًا أولياء البنات بالإحسان إليهن فى التربية والتعليم «من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن ، وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله له الجنة البتة البتة » .

لنا أن نلاحظ قوله ﷺ : « حتى يغنيهن الله عنه » أى ينلن من تعاليم الدين وتعاليم الحكمة والعلوم والمهن المختلفة التى تناسب البنات مما يجعلهن يستطعن تكوين شخصية كاملة متكاملة تخوض غمار الحياة بلا وجل ، أو خوف، فسلاحهن العلم بشتى أنواعه من دين ومكارم أخلاق وعلوم ومعارف مهيئة للعمل ـ عند الضرورة ـ والاعتماد على النفس .

ولذلك جعل الرسول ﷺ طلب العلم أى السعى إليه وبذل المجهود فى تحصيله فريضة على المسلم والمسلمة فقال ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » .

وكان الرسول ﷺ القدوة الصالحة فى أفعاله المطابقة لأقواله ، فقد أمر الرسول ﷺ : « الشفاء العدوية » بتعليم أم المؤمنين حفصة بنت عمر ، القراءة والكتابة وتحسين الخط .

وقد تعلمت السيدة عائشة بنت أبى بكر فى بيت النبوة وهى زوجة لرسول الله ﷺ، حتى إنها روت أكثر من ألف حديث فى شتى مجالات علوم الإسلام، من أخلاق ، وآداب ، وعبادات ، وغيرها ، وقد أمر الله عز وجل أمهات المؤمنين بالتعلم من رسول الله ﷺ ، ثم تلقين وتعليم المسلمين السنة وعلوم القرآن فقال تعالى :

﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب : ٣٤] .

ولتعليم المرأة وحسن تربيتها فى الإسلام غايات وأهداف سامية منها :

١ ـ معرفة الأحكام الدينية والآداب الأخلاقية السامية للقيام بالعبادة والدعوة

إلى الله .

٢ ـ النجاح فى رعاية وإدارة بيتها .

٣ ـ الإعداد للعمل خارج المنزل ـ عند الضرورة ـ وفى حدود الشرع .

٤ ـ المحافظة على الشرف والعزة والكرامة .

وقبل أن نعرض لهذه الغايات فى اختصار نود الإشارة إلى أن هذه الغايات هى ما نادى به داعية تحرير المرأة حيث يقول : « ولكن أرى همم الناس موجهة إلى التعليم ، ولا أرى أحدًا يلتفت إلى تربية النفوس ، وأرى الحرص على التعليم منحصرًا فى تعليم الذكور ، مع أن تهذيب الأخلاق مقدم على التعليم ، وتعليم البنات مقدم على تعليم الذكور » (١) .

كما يقول : « سوء التربية هو الذى يخرق كل حجاب ، ويفتح على المرأة من الفساد كل باب ، وهو الذى يخشى معه أن تسرى العدوى من امرأة إلى امرأة ، ومن طبقة إلى طبقة ، فقد نرى أن المحجبات مهما بالغن فى التحجب لا يستنكفن أن يختلطن بنساء أحط منهن فى الدرجة ، فأبعد عن التصون والعفة»(٢) .

وهذه الفقرات السابقة ليست قدحًا فى الإسلام وتعاليمه ، ولكنه دعوة للعودة إلى آدابه وتعاليمه ، التى خرج المجتمع عنها فى عهده . وإن شط فى بعضها فدعا إلى تعلم اللغات الأجنبية والموسيقى والفنون (٣) .

١ ـ معرفة الأحكام الدينية والآداب الأخلاقية السامية :

للقيام بالعبادة والدعوة إلى الله لتحقيق هذه الغاية يجب تعلم القراءة والكتابة والحصول على قدر مناسب وضرورى ولازم من الثقافة الدينية والأخلاقية وغيرها ، وهو واجب يقع على عاتق الآباء والأمهات والمجتمع والدولة ، يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾

(١ ، ٢) قاسم أمين : تحرير المرأة ص٥٢ .

(٣) لوحظ أن قاسم أمين فى كتابه الأول تحرير المرأة لم يبتعد عن تعاليم الإسلام ، ولكنه فى كتابه الثانى : المرأة الجديدة ابتعد عن تعاليم الإسلام ، وحاول النيل منها على استحياء .

[التحريم : ٦] ، وقد سأل عمر رضى الله عنه الرسول ﷺ : نقى أنفسنا ، فكيف لنا بأهلينا ؟ قال : « تنهوهم عما نهاكم الله، وتأمروهم بما أمر الله » .

كما يقول جل شأنه : ﴿ وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَه ﴾ [الأحزاب : ٣٣] ، وحتى يتيسر ذلك لابد من حفظ القرآن الكريم ودراسته ، والإلمام بعلومه ، وكذلك دراسة السنة النبوية وآدابها ، وذلك بالقدر الضرورى لأداء العبادات ، والتمسك بأخلاق الإسلام السامية .

كما يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب : ٥٩] ، ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور : ٣١].

والأمر الإلهى بـ ﴿ قُل ﴾ يحمل فى طياته التعليم والتوجيه والنصح والإرشاد ؛ ولذلك فقد ثبت أن الرسول ﷺ خصص يومًا لتعليم النساء .

وكانت النساء يحرصن على التعليم ، تقول خولة بنت قيس : « كنت أسمع خطبة رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، وأنا فى مؤخر النساء ، وأسمع قراءته ﴿ قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ [ق : ١] على المنبر وأنا فى مؤخر المسجد » (١) .

وهاهى وافدة النساء أسماء بنت يزيد بن السكن التى أتت النبى ﷺ فقالت : إنى رسول من ورائى من جماعة نساء المسلمين كلهن يقلن بقولى وعلى مثل رأيى، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء ، فآمنا بك واتبعناك ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت ، ومواضع شهوات الرجال ، وحاملات أولادهن ، وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد ، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا لهم أولادهم ، أفنشاركهم فى الأجر يا رسول الله ؟

فالتفت الرسول ﷺ بوجهه إلى أصحابه فقال : « هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه » فقالوا : بلى والله يا رسول الله ، فقال رسول

---

(١) عبد الرب نواب الدين : عمل المرأة وموقف الإسلام منه .. ص١٥٤ ، ومرجعه الطبقات الكبرى ٨ / ٢٩٦ .

الله ﷺ : « انصرفى يا أسماء وأعلمى من ورائك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال » .

فانصرفت أسماء وهى تهلل وتكبر استبشارًا بما قاله لها رسول الله ﷺ (١) .

فإذا تعلمت المرأة أصول دينها ، فأفلحت فى بيتها ، وزينت المجتمع بحسن خلقها ، يمكنها أن تكون قدوة للنساء والرجال على السواء ، فتدعو للدين وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتمنح الشهادات العلمية لكبار العلماء .

يقول تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١] .

هذا ، وقد أنتج التعليم الإسلامى القويم الكثير من العالمات الفضليات ونساء القدوة ؛ منهن على سبيل المثال : السيدة عائشة أم المؤمنين :

عن عروة عن أبيه قال : ما رأيت أحدًا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة، ولا بحلال ولا بحرام ، ولا بشعر ، ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضى الله عنها .

« عن أنس بن مالك قال : خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم فقالت : أما إنى فيك راغبة وما مثلك يرد ، ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ، فإن تسلم فذلك مهرى لا أسألك غيره ، ثم قالت : ألست تعلم أن إلهك الذى تعبد خشبة من نبات الأرض نجرها حبشى بن فلان ؟ قال : بلى ، قالت : أفلا تستحى أن تعبد خشبة . . » (٢) ، وقد أسلم بدعوتها .

أم ورقة الأنصارية ، كانت تجمع القرآن ، وتدعو إلى الإسلام ، وتؤم أهلها وتخرج للغزو مع رسول الله ﷺ مجاهدة فى سبيل الدعوة إلى الله تعالى ، تطلب الشهادة (٣) .

---

(١) د . توفيق يوسف الواعى : النساء الداعيات ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٥١ .

(٣) المرجع السابق ص٥٧ .

نسيبة بنت كعب الأنصارية ، غزت مع الرسول ﷺ سبع غزوات تصنع الطعام وتقوم على المرضى وتداوى الجرحى .

رفيدة الأنصارية الأسلمية ، كان لها خيمة فى المسجد تداوى فيها الجرحى ، وعندما أصيب سعد بن معاذ بالخندق قال ﷺ : « اجعلوه فى خيمة رفيدة التى فى المسجد حتى أعوده عن قريب » .

أم المؤمنين زينب بنت جحش الأسدية ، عن عائشة أنها قالت : « كانت زينب امرأة صنّاع اليدين ، فكانت تدبغ وتخرز وتبيع ، فتتصدق به فى سبيل الله » (١) .

هذا ، ولم يقتصر الأمر على الصحابيات بل تعداه إلى التابعيات ومنهن :

حفصة بنت سيرين ، « قرأت القرآن الكريم وهى ابنة عشر سنين وحفظته ، عن فهم وتفسير ، وكان ابن سيرين إذا استشكل عليه شىء من القرآن قال : اذهبوا فاسألوا حفصة كيف تقرأ ، روت حفصة عن أخيها يحيى ، وأنس بن مالك ، وأم عطية الأنصارية ، والرباب أم الرائح وخلق كثير ، وروى عنها محمد ابن سيرين وقتادة وعاصم الأحول، وأيوب وخالد الحذاء وابن عون» (٢).

وكان من الأساتذة نساء تخرج على أيديهن العلماء الرجال ومنهن :

« السيدة كريمة المروزية » من شيوخ الإمام البخارى ، و ذكر ابن عساكر أن من شيوخه بضعًا وثمانين امرأة ، والإمام الشافعى أحد شيوخه امرأة .

وقد نبغت بعض النساء فى العلوم غير الدينية ، فمن بنى أمية طبيبة عيون بارعة كانت تسمى زينب .

وفى الأندلس اشتهرت أخت لأبى بكر بن زاهر الحفيد وكانت طبيبة لنساء المنصور هى وابنتها .

ويؤمن قاسم أمين بضرورة التربية الدينية والثقافية السليمة للمرأة فيقول :

« فإذا تعلمت المرأة القراءة والكتابة ، واطلعت على أصول الحقائق العلمية،

---

(١) النساء الداعيات ص٦٢ ومرجعه الإصابة ٤ / ٣٠٧ .

(٢) المرجع السابق ص١٢٦ .

وعرفت مواقع البلاد ، وأجالت النظر فى تاريخ الأمم ، ووقفت على شىء من علم الهيئة والعلوم الطبيعية ، وكانت حياة ذلك كله فى نفسها ، عرفناها العقائد والآداب الدينية ، استعد عقلها لقبول الآراء السليمة ، وطرح الخرافات والأباطيل التى تفتك الآن بعقول النساء .

وعلى كل من يتولى تربية المرأة أن يبادرها من بداية صباها بتعويدها حب الفضائل التى تكمل بها النفس الإنسانية فى ذاتها ، والفضائل التى لها أثر فى معاملة الأهل وحفظ نظام القرابة ، والفضائل التى يظهر أثرها فى نظام الأمة ، حتى تكون تلك الفضائل جميعها ملكات راسخة فى نفسها ، ولا يتم ذلك إلا بالإرشاد القولى والقدوة الصحيحة » (١) .

ومع ذلك نرى أن الاهتمام بالتربية الدينية لم يكن من أولويات دعوته ، ولكنه اهتم بأنواع أخرى فيقول : « ولا تتحصل المرأة على المطلوب من هذه التربية العقلية بتعليمها القراءة والكتابة واللغات الأجنبية ، بل تحتاج أيضًا لتعلم أصول العلوم الطبيعية والاجتماعية والتاريخية . . كما أنها تحتاج لتعليم مبادئ قانون الصحة . . حتى يمكنها أن تقوم بتربية أولادها . . . . فن التصوير والرسم لا تقل عن فائدة العلم . . . ولفن الموسيقى مثل هذه المزايا فإنها أفصح لغة تعبر عما فى ضمائرنا ، وألذ ما يرد على مسامعنا » (٢) .

وقد لاحظنا عدم استطراده فى بيان أهمية تعليم البنات للقرآن والسنة والفقه، بل مر عليها مر الكرام ، وهذا يوضح لنا تأثره بالثقافات الغربية فى فكره، كما أنه طالب بتعليم البنات اللغة الأجنبية ، ونحن نتساءل هل يطالب الغرب بتعليم نسائه كافة لغتنا العربية !

كما أثنى على تعليم النساء الرسم والموسيقى وهذه الفنون لسنا فى حاجة ماسة إليها ، خاصة الموسيقى ، فالبلاد النامية عليها الاهتمام بأساسيات الحياة ،

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص٣٢ ، ونحن نتفق معه فى ذلك ، ولكن وا أسفاه لم يعد ذلك من غاياتنا ، فقد انشغلت المرأة عن تربية نفسها وتربية أولادها ومن قبلها انشغل المجتمع .

(٢) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص١٠٢ ، ١٠٣ .

لا برفاهية لا تستحقها وليست أهلاً لها ، وقد لا توافق أحكام الدين .

٢ ـ النجاح فى رعاية وإدارة بيتها :

إن مهمة المرأة الأولى والأساسية التى خلقت لها ومن أجلها هى رعاية وإدارة بيتها ، أما الشقاء خارجه فقد كتبه الله على الرجل فقط .

﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ [طه:١١٧] ، فهنا التحذير لآدم من طاعة الشيطان حتى لا يخرج من الجنة فيكون الشقاء له فى الدنيا بالعمل والكد مهمة رئيسية ، وليست من مهام المرأة .

قال الرسول ﷺ : « كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته ، فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته . والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها . والرجل راعٍ فى أهله ومسؤول عن رعيته » .

فخير الخلق عليه الصلاة والسلام ـ جعل للمرأة منزلة الراعية التى لها سيطرة على غيرها ، ووضع مكانها بين الإمام والرجل ، ولم يضعها بين الرجل والخادم تكريمًا لها ، وإشارة إلى شرفها » (١) .

وقد أوضح القرآن الكريم معنى رعاية البيت ومن ذلك :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٩] ، ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا ﴾ [النحل : ٨٠] ، ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف : ١٥] ، ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣]

ومن مهام المرأة فى إدارة البيت ، دراسة الميزانية وتقييم الإيرادات والمصروفات حسب أولويات ومصالح الأسرة : ﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

وعلى المرأة القيام بأعمال المنزل طالما لا يستطيع الزوج الاستعانة بمن يساعدها فى ذلك أو يقوم به ، وها هى أسماء بنت أبى بكر الصديق تقول بعد أن تزوجت

---

(١) د . محمد عطية الإبراشى : عظمة الإسلام ، مكتبة الأسرة ، والحديث رواه البخارى عن ابن عمر ٩ / ٧٧ .

الزبير بن العوام : « كنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته ، وأسوسه وأدق النوى للناضح وأعلفه وأسقيه الماء ، وأخرز غربه ، وأعجن له ، ولم أكن أحسن أخبز، فكان يخبزن لى جارات كن من الأنصار ، وكن نسوة صدق ، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير . . . على رأسى ، وهو على ثلثى فرسخ . . . حتى أرسل لى أبو بكر بخادم . . فكأنما أعتقنى » (١) .

وعن خدمة الزوج تقول عائشة : « كنت أرجل شعر الرسول » (٢) ، ويقول الرسول ﷺ عن خديجة : « كانت أم العيال وربة البيت » (٣) ، ويقول الرسول ﷺ عن نساء قريش : « خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش ، أحناه على يتيم فى صغره ، أرعاه على زوج فى ذات يد » (٤) .

وتقول أم سلمة : « تزوجنى الرسول ﷺ فانتقلنى فأدخلنى بيت زينب بنت خزيمة أم المساكين بعد أن ماتت ، فإذا جرة فاطلعت فيها ، فإذا فيها شىء من شعير ، وإذا رحى وبُرمة « قِدر من الحجارة » وقدر ، فنظرت فيها فإذا كعب من إهالة « شحم وزيت » فأخذت ذلك الشعير فطحنته ، ثم عصدته فى البرمة ، وأخذت الكعب من الإهالة فأدمته به ، قالت : ذلك طعام رسول الله وطعام أهله ليلة عرسه » (٥) .

ويقول داعية تحرير المرأة عن أهمية دور المرأة فى بيتها : « المرأة ميزان العائلة، فإن كانت منحطة احتقرها زوجها وأهلها وأولادها وعاشوا جميعًا منحلين . . . ، وإن كانت على جانب من العقل والأدب هذبت جميع العائلة» (٦).

---

(١) عبد الرب نواب الدين : عمل المرأة وموقف الإسلام منه ص١٥٧ ، ومرجعه الطبقات الكبرى٨ / ص٢٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، والحديث رواه البخارى ١ / ٨١ .

(٣) المرجع السابق ، ومرجعه الطبقات الكبرى ٨ / ٥٧ .

(٤) المرجع السابق ، رواه مسلم عن أبى هريرة ٤ / ١٩٥٨ وما بعدها .

(٥) المرجع السابق، ومرجعه : الطبقات الكبرى ٨ / ٩٢ .

(٦) قاسم أمين : تحرير المرأة ص١٠٤ .

ويقول عن بعض واجبات الأم : « فعلى الأم أن تعرف أفضل الطرق لتغذية الأطفال . . . . وعلى الأم أن تعرف كيف تقى جسد ولدها من أعراض الحر والبرد . . . . وأن تكون على علم بنفس الطفل ووظائف قواه العقلية .

فعلى المرأة واجبات . . . وأهم هذه الواجبات هى : تربية الأولاد » (١) .

ويسترشد بقول الفيلسوف « فنلون » أن الواجبات التى تُطالب بها النساء هى أساس الحياة الإنسانية فالمرأة تدير جميع شؤون العائلة . . وما من أحد يمكنه أن يهذب العائلة سوى المرأة (٢) .

كما يقول : « يستحيل تحصيل رجال ناجحين إن لم يكن لهم أمهات قادرات على أن يهيئن للنجاح ، فتلك هى الوظيفة السامية . . التى عُهِدَ بها إلى المرأة . . حيث تلد الأطفال ثم تصوغهم؟؟ رجالاً ، . . . . التربية عمل عقلى . . . محتاج فى تأديته إلى تربية واسعة واختبار عظيم ومعارف مختلفة » (٣) .

٣ ـ الإعداد للعمل خارج المنزل عند الضرورة وفى حدود الشرع :

الإسلام لا يمنع مشاركة المرأة فى العمل خارج بيتها (٤) ولكن بشروط خاصة، منها : حاجة المجتمع لعمل المرأة ، ومراعاة طبيعة العمل لطبيعة المرأة ، مناسبة وقت العمل للمرأة ، إعداد مكان عمل تُكرم المرأة من خلاله ، الرفقة والزمالة المناسبة فى العمل .

فيجب أن تناسب طبيعة العمل المرأة كأنثى ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ﴾ [آل عمران : ٣٦] ، فهناك أعمال ينجح فيها النساء ولا يصلح لأدائها الرجال بنفس الكفاءة والعكس ، ومن هذه الأعمال معلمة حضانة للصغار وللبنات الكبار أيضًا فى شتى مراحل التعليم ، مغنية للنساء ، مُزينة للنساء ، حائكة للنساء ، داعية ومرشدة دينية ، طبيبة أمراض نساء وكافة الأمراض الأخرى . . . إلخ .

كما يجب أن يناسب وقت العمل المرأة ، حتى تستطيع التوفيق بين عملها

(١ ، ٢) تحرير المرأة ص٧٥ ، ٨٠ .

(٣) المرجع السابق ص١٠٣ .

(٤) سيتم مناقشة ذلك تفصيليا فى فصل مستقل .

الأساسى كزوجة وأم ومربية أجيال وبين عملها الإضافى خارج بيتها .

وإعداد مكان العمل لمناسبة طبيعة المرأة أمر هام ، فلابد من توافر كل سُبل الراحة فيها من تهيئة أماكن للجلوس وأخرى لقضاء الحاجة ، وأن تكون هذه الأماكن منفصلة عن الرجال ، حتى تنال المرأة حرية أكثر فى جلوسها وقيامها وحديثها وزينتها وغيره ، ومنعا من الاختلاط بالرجال وما يؤدى إليه من أمراض أخلاقية وصحية واجتماعية ، أثبت الواقع حدوثها ويعانى منها العالم بأجمعه الآن .

وقد أوضح القرآن الكريم آداب عمل المرأة فى قصة موسى مع ابنتى شعيب، فعندما تعجب موسى من خروجهما لسقى الماشية وهو عمل شاق لا يناسب المرأة ورقتها وأنوثتها ، سأل عن ذلك فقالتا : ﴿ **لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِير** ﴾ [القصص : ٢٣] الآية على اختصارها حددت :

أ ـ من التأدب عدم الاحتكاك الكامل فى الأعمال بين النساء والرجال ، فهما لم ينازعا ويزاحما الرجال ولكن كانتا فى انتظار انتهاء عمل الرجال أولاً .

ب ـ أوضحتا أن سبب الخروج للعمل : ﴿ **أَبُونَا شَيْخٌ كَبِير** ﴾ [القصص:٢٣] فلا يوجد إخوة رجال ، والوالد لا يستطيع أداء العمل ، كما لم يستعن الأب برجال للعمل ، خوفًا على ابنتيه .

جـ ـ وعندما أدركت البنتان قوة وأمانة هذا الوافد الجديد نصحتا الوالد باستخدامه : ﴿ **يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِين** ﴾ [القصص: ٢٦] .

وهنا أدرك الأب أنه من الأفضل زواج هذا العامل القوى الأمين من إحدى ابنتيه خوفًا عليهن من الفتنة قد تنوء بحملها قوة وأمانة ، فقال لموسى : ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [القصص : ٢٧] .

هذا : وقد وضع شعيب أسس أولوية العمل منذ آلاف من السنين ، ومن أهمها توفير فرص عمل للرجال أولاً . . للقضاء على عنوسة النساء ، والحرص

على اجتناب بواعث الفتنة .

والثابت أن رسول الله ﷺ أجاز عمل المرأة لتزيين النساء لأزواجهن ، فعن أم رعل القشيرية أنها سألت الرسول ﷺ : « إنى امرأة مقينة (١) ، فهل هو حوب (٢) فأثبط عنه (٣) ؟ فقال لها ﷺ : « يا أم رعل ، قينهن وزينهن إذا كسدن (٤) » .

هذا ،ويؤمن قاسم أمين بأن عمل المرأة الأصلى هو بيتها والعمل خارجه لا يكون إلا لضرورة فيقول : « نحن لا نجادل فى أن الفطرة أعدت المرأة إلى الاشتغال بالأعمال المنزلية وتربية الأولاد ، وأنها معرضة لعوارض طبيعية كالحمل والولادة والرضاع لا تسمح لها بمباشرة الأعمال التى تقوى عليها الرجال ، بل نصرح هنا أن أحسن خدمة تؤديها المرأة إلى الهيئة الاجتماعية هى أن تتزوج وتلد وتربى أولادها ، هذه قضية بديهية لا تحتاج فى تقريرها إلى بحث طويل ، وإنما الخطأ فى أن نبنى على ذلك أن المرأة لا يلزمها أن تستعد بالتعليم والتربية للقيام بمعاشها وما يلزم لمعيشة أولادها إن كان لها أولاد صغار عند الحاجة .

وذلك لأنه يوجد فى كل بلد عدد من النساء لم يتزوجن ، وعدد آخر تزوجن وانفصلن بالطلاق أو بموت الزوج ، ومن النساء من يكون لها زوج ولكنها مضطرة إلى كسب عيشها بسبب شدة فقره أو عجزه أو كسله عن العمل ، ومن النساء عدد غير قليل متزوجات وليس لهن أولاد ، كل هؤلاء النسوة لا يصح الحجر عليهن عن تناول الأشغال الخارجية عن المنزل بحجة أن لهن رجالا قائمين بمعاشهن ، أو لأن عليهن واجبات عائلية ، أو لوجود عوارض طبيعية تحول بينهن وبين العمل » (٥) .

«نعم ، نرى أنه يجب على كل أب أن يعلم بنته بقدر ما يستطيع ونهاية ما يمكن ، وأن يعتنى بتربيتها كما يعتنى بتربية أولاده الذكور ، فإذا تزوجت بعد

---

(١) مقينة : تزين النساء لأزواجهن . (٢) حوب : إثم .

(٣) أثبط عنه : أتركه .

(٤) عبد الرب نواب الدين: عمل المرأة وموقف الإسلام منه ص ٧٧ ومرجعه الإصابة ٤ / ٤٣١ .

(٥) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص ٦٤ ، ٦٥ .

ذلك فلا يضرها عملها بل تستفيد منه كثيرا وتفيد عائلتها ، وإن لم تتزوج أو تزوجت ثم انفصلت عن زوجها لسبب من الأسباب الكثيرة الوقوع أمكنها أن تستخدم معارفها فى تحصيل معاشها بطريقة ترضيها وتكفل راحتها واستقلالها وكرامتها .

وسواء نظرنا إلى الفوائد المادية التى ينالها صاحب العلم من علمه أو نظرنا إلى اللذة المعنوية التى يذوقها فالتعليم على كل حال مطلوب » (١) .

والملاحظ أن قاسم أمين لم يؤمن بضرورة مناسبة العمل لطبيعة المرأة ، ولم يصرح بذلك مباشرة ولكنه أوضح ذلك بصورة غير مباشرة فقال عن نساء أمريكا: « ويرى النساء يشتغلن بأعمال الرجال ، والرجال يعملن أعمال النساء بلا فرق . . . الست غوردون ترافعت أمام محكمة فرانسيسكو الجنائية ودافعت عن رجل متهم بالقتل . . . الست ستون تدرس الاقتصاد السياسى فى كلية شيكاغو لطلبة العلم ذكورًا وإناثًا » (٢) .

كما يقول : « أما عدد النساء المشتغلات بتحرير العقود الرسمية ، والنساء القسيسات ، والمهندسات ومديرات الجرائد ، والمستخدمات فى الرصد خانة والبوستة والتلغرافات فلا يكاد يحصى » (٣) .

وأيضًا هذه الفقرات لا توضح مدى ضرورة عمل المرأة لخدمة المجتمع ، فمطالب قاسم أمين لم تلتزم بالمنهج الإسلامى فى هذا الشأن بل مجدت وأعلت من شأن النظم الغربية الأمريكية .

٤ ـ المحافظة على العِزة والكرامة والشرف والعفة :

إذا أردت أن تحكم على أخلاقيات أسرة فاعلمها من أخلاقيات ربة الأسرة ، وإذا رغبت فى معرفة أحوال مجتمع فاعلمها من حال نسائه ، فالمرأة مرآة

---

(١) المرجع السابق ص٦٩ .

(٢) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص٥٤ ، ٥٥ .

(٣) المرجع السابق ص١٨ .

وهو يسترشد بمقالة نشرت سنة١٨٨٢ م لأمريكى يسمى « جون لينجمان » .

المجتمع، إذا كانت مهانة فعدوى الإهانة وصلتها من المجتمع ، وإن كانت مكرمة فالمجتمع مجتمع صالح .

إن المجتمع والدولة التى استغاثت به امرأة فى بلاد الروم فقالت : «وامعتصماه » فهب لنصرتها ، لهو مجتمع عزيز كريم ، والأمة التى تنتهك حرمات نسائها فى شتى أنحاء الأرض لهى أمة ذليلة لا قيمة لها . وهذه حقيقة .

والإسلام جعل عِزته من عزة المؤمنين به : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا . . . . ﴾ الآية [فاطر: ١٠] ، والسبيل الوحيد لعزة المسلمين رجالاً ونساءً هو التمسك بتعاليم الدين الإسلامى ، ومن هذه التعاليم ، العناية بتربية وتعليم البنات أحكام الدين وآداب التمسك بالشرف والعِفة والفضيلة :

لهذا يجب أن نعنى بتربية البنات أكثر من العناية بتربية الأبناء ؛ فنحن إذا ربينا ابنًا ربينا فردًا واحدًا ، ولكن إذا ربينا بنتًا ربينا أسرة كاملة . فإذا عنينا بتربية البنات استطعن أن ينشئن شعبًا مثاليًا نبيلا فى خلقه ، قويًا فى جسمه ، سديدًا فى تفكيره ، صادقًا فى قوله ، أمينًا فى عمله ، محبًا لوطنه ، مخلصًا لبلاده ، شجاعًا فى الحق ، متمسكا بالفضيلة ، مجتنبًا للرذيلة .

وقد أعطى الإسلام لعزة وكرامة المرأة ما لم يعطه دين أو تشريع آخر ، فهذه أم هانئ قد استجار بها فى الحرب عدو من أعداء المسلمين ، فأجارته ، فجاء على ابن أبى طالب يريد وجهه ، فمنعت عليا من قتله ، واحتكمت إلى الرسول ﷺ، فقال الرسول النبيل : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ » .

وقد أجارت السيدة زينب بنت الرسول ، زوجها أبا العاص بن الربيع وهو كافر ، حيث فرق الإسلام بينهما ـ حيث لم يعلن إسلامه فحرمت عليه ـ وأعلنت على الملأ حمايتها له ، فانتظر المسلمون ليعلو رأى رسول الله ﷺ : «فلما فرغ المسلمون من صلاتهم أقبل النبى ﷺ عليهم قائلاً : « يا أيها الناس، هل سمعتم الذى سمعتُ » قالوا : نعم ، فقال رسول الله : « أما والذى نفس

محمد بيده ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم ! وإنه يجير على المسلمين أدناهم ! » ثم انصرف رسول الله فدخل على بنته زينب وقال لها : « أى بنية أكرمى مثواه، ولا يخلصنَّ إليك فإنك لا تحلين له » ! ، وكان ذلك سببًا فى إسلامه»(١).

وقد حث الحق تبارك وتعالى جميع المؤمنين به رجالاً ونساء على التمسك بالعبادات وفضائل الأخلاق وحماية الأعراض فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

والمحافظة على العزة والكرامة والشرف والعفة هى هدف من أهداف الإسلام التى لا تتحقق العبادة إلا بها ، يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الممتحنة : ١٢] .

والملاحظ أن هذه الآداب اشتملت من العبادة على أمر واحد وهو عدم الشرك بالله ، أما من أخلاق حفظ العزة والكرامة والشرف فقد تضمنت خمسة: عدم السرقة ، عدم الزنا ، عدم قتل الأولاد بإجهاض أو وأد أو غيره ، عدم اقتراف المحرمات والفواحش ، عدم معصية الرسول فى معروف أى فى خلق إسلامى قويم .

ومن آداب الحفاظ على عفة وطهارة المرأة ، عدم الخلوة مع أجنبى ، يقول الرسول ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها ، فإن ثالثهما الشيطان » (٢) .

---

(١) الشيخ محمد الغزالى رحمه الله ـ قضايا المرأة ص١٦٤ .

(٢) الحديث رواه أحمد عن عامر بن ربيعة .

ومن هذه الآداب أيضًا ، غض البصر : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور : ٣١] .

ومن مظاهر تكريم المرأة والحفاظ عليها عدم السماح لها بالسفر بمفردها إلا مع ذى محرم أو رفقة آمنة ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر ثلاث ليالٍ إلا ومعها محرم » وفى رواية أبى داود : « لا تسافر بريدًا ـ أى نصف يوم » ، وفى حديث أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها محرم لها » (١) .

وهذا العبء على الزوج أو المحرم هو من قبيل الجهد والمشقة ، ولكن فى سبيل المحافظة على المرأة وحمايتها وصون كرامتها ، وليس بهدف الحجر عليها»(٢) .

آراء ومطالب قاسم أمين فى أهمية التربية للمحافظة على كرامة المرأة وعفتها

آمن قاسم أمين بأهمية تربية المرأة عقليًا وخلقيًا للمحافظة على شرفها فيقول: ـ « وبالجملة فإنا نرى أن تربية العقل والأخلاق تصون المرأة ولا يصونها الجهل ، بل هى الوسيلة العظمى لأن يكون فى الأمة نساء يعرفن قيمة الشرف وطرق المحافظة عليه ، وأرى أن من يعتمد على جهل امرأته مثله كمثل أعمى يقود أعمى مصيرهما أن يتردیا فى أول حفرة تصادفهما فى الطريق ؟ » (٣) .

ومع ذلك فهو لم يدع إلى اتباع المنهج الإسلامى فى التربية إلا اسميًا ، حتى يعطى لدعوته مصداقية ، ولكنه زكى الأسلوب الغربى وجعله القدوة فى ذلك فهو يقول مادحًا الاختلاط : « رأيت فى أمريكا الصبيان والبنات يذهبون إلى مدرسة واحدة ويجلسون على مكتبة واحدة .. ويرتاضون معًا... فإذا أتموا

---

(١) الحديث رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه والدارمى .

(٢) انظر كتابنا: المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص١٧٤ .

(٣) قاسم أمين : تحرير المرأة ص٥٩ .

دروسهم استمر هذا الاختلاط حيث ترى البنات فى المعامل والمصانع يشتغلن ويستخدمن فى « اللوكاندات » الكبيرة لمسك الدفاتر » (١) .

ويقول عن سفر البنات بلا محرم لشهور وسنوات ، وهو ما لا يتفق مع تعاليم الإسلام : « بلغ من احترام الرجل الغربى لحرية المرأة أن بنات فى سن العشرين يتركن عائلاتهن ويسافرن من أمريكا إلى أبعد مكان فى الأرض ، وحدهن أو مع خادمة ، ويقضين الشهور والأعوام متغيبات فى السياحة ، متنقلات من بلد إلى آخر ، ولم يخطر على بال أحد من أقاربهن أن وحدتهن تعرضهن لخطر ما » (٢) .

وعن الحرية المطلقة للزوجة التى ليست من تعاليم الإسلام يقول : « كان من حرية المرأة الغربية أن يكون لها أصحاب غير أصحاب الزوج ، وأن تعيش بالطريقة التى تراها مستحسنة فى نظرها» (٣) .

ويقول قاسم أمين متغنيًا ومفتخرًا بهذه الأفكار الغربية : « ومع ذلك ترى نظام بيوت الغربيين قائمًا على قواعد متينة ، ونرى هؤلاء الأمم فى نمو مستمر ، ولم يحل بهم شىء من المصائب التى يهددنا بها أولئك الكتاب والفقهاء من قومنا الذين أطالوا الكلام فى شرح المضار التى تنتج عن إطلاق الحرية للنساء ! فكثيرًا ما سمعنا منهم أن اختلاط الرجال بالنساء يؤدى إلى اختلاط الأنساب ، وأنه متى اختلطت الأنساب وقعت الأمة فى هلاك » (٤) .

هذا ، وقد جعل قاسم أمين احترام المرأة والمحافظة عليها هو من الاحتقار لها فقال : « من احتقار المرأة أن يعين لها محافظ على عرضها مثل أغا أو مقدم أو خادم يرافقها ويصحبها أينما تتوجه » (٥) .

ويشرح وجهة نظره قائلاً : « انظر إلى امرأة تمشى فى الطريق ومعها خادم، تجد فى نفسك لأول وهلة أن الخادم يشعر من نفسه أنه هو صاحب الإرادة

---

(١) تحرير المرأة ص٦٩ والكلام عن كتاب لمفكر فرنسى اسمه « بول دروزيه » .

(٢، ٣) المرجع السابق ص٥٠ ومرجعه قول لمفكر إيطالى .

(٤) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص٥٠ ، ٥١ .

(٥) قاسم أمين : تحرير المرأة ص٢٩ .

والرأى والقوة ، وكأن لسان حاله يقول : إنى اؤتمنت على هذه الذات الجاهلة الضعيفة وعلى ملاحظتها وحراستها وحمايتها »[1] .

فانظر إلى التناقض يُزكى قاسم أمين سفر المرأة بلا محرم لسنوات وصداقاتها لغير الزوج ، ويعتبر ذلك من إعلاء شأنها ، ويستنكر قضاء حوائجها خارج بيتها فى صحبة خادم يحمل عنها أمتعتها ويحميها من الغوغاء ، أين تعاليم الإسلام فى فكره السقيم ، ألا يعلم أن سفر الشابة بلا محرم لمدة طويلة ، ليس من الإسلام؟!

لقد بلغت السخرية مداها بقاسم أمين حتى أنه استهزأ بالمفكرين ورجال الدين الفقهاء الذين حذروا من إطلاق الحريات الغير مقننة وفقًا لأحكام الإسلام، ولو أن قاسمًا كان يحيا الآن لأدرك كيف أصبح اختلاط الأنساب فى الغرب وبعض الشرق شريعة ومنهاجا ، ووصل الأمر ، لولادة أطفال غير معروفى الآباء، لكثرة العشاق للوالدة ، منهم القائم والمسافر والمهاجر .

---

(٦) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص٣٢ .

obeikandl.com

المبحث الثانى

الآداب الخارجية التى تظهر أدب وخلق المرأة وتدعو لاحترامها

توطئة :

نقصد بهذه الآداب ، احتشام المرأة فى الملبس وعدم إبداء الزينة الظاهرة وذلك وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية ، أو الالتجاء إلى أساليب تكشف للآخرين استعدادها للغواية والفجور ، أو على الأقل تطمع الرجال فى محاولة النيل منها .

وكل ما سبق يندرج تحت مفهوم الحجاب خارج المنزل أى مظهر المرأة الشرعى فى مجتمع الرجال من غير المحارم ، وعن تنظيم ذلك يقول تعالى : ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٣٠، ٣١] ، كما يقول تبارك اسمه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٩].

وآيات سورة النور توضح الآداب الإسلامية التالية :

أمر المؤمنين رجالاً ونساءً بصرف النظر عن النظرة الفاحصة كل جنس للآخر فالنظرة الفاحصة المتمعنة قد تكون سببًا فى بداية إعجاب يؤدى إلى زنى العين، فتكون النظرة سهما من سهام إبليس لقتل الفضيلة وبداية التخطيط للفاحشة ؛ ولذلك بدأت الآية الكريمة بالأمر بغض النظر قبل حفظ الفرج ، فالنظرة قد تكون رائدا للقلب يقول الشاعر :

ألم تر أن العين للقلب رائد فما تألف العينان فالقلب ألف

كما يقول :

نظرة فابتسام فسلام فكلام فموعد فلقاء

عن بريدة قال الرسول ﷺ لعلى : « يا على، لا تتبع النظرة فإن الأولى لك وليس لك الآخرة » رواه أبو داود .

وعن جرير قال : سألت الرسول ﷺ عن نظرة الفجاءة ، فقال : « اصرف بصرك» رواه أبو داود .

وبعد الأمر المباشر للذكر والأنثى بغض النظر ، جاء الأمر بحفظ الفروج «وتعبير حفظ يوضح لنا أن الأعضاء التناسلية وهى محل الشهوة لدى الذكر والأنثى هى بمثابة كنوز يجب صيانتها وأمانة عُظمى يجب وقايتها ، وكل ذلك تحت مظلة كبيرة من الفضيلة والحياء والطهارة وطاعة الله « أزكى » ، والله يعلم مدى تنفيذ هذه الوصايا الإلهية ، وهذا العلم الإلهى شامل كامل .

وبعد الأمر المشترك جاء الأمر للنساء فقط بغض النظر وحفظ الفرج على سبيل التخصيص . وهذا ليس بتكرار ولكنه لبيان وإيضاح أن المرأة غالبا هى التى تدعو الرجل لاشتهائها والطمع فى النيل من كنوزها المستترة ، التى لا عزة لها ولا كرامة ولا شرف ولا عفة إلا بسترها والسبيل إلى ذلك عدم إبداء « أى عرض وإظهار» ما بها ما من أعضاء تبرز الجمال الطبيعى ، أو تشير إليه ولو من بعيد كتعمد المبالغة فى حركة الأرجل لسماع أصوات الخلاخيل وجذب انتباه الرجل لينظر للمرأة ، أو يدعوه ذلك إلى محاولة التقرب منها وبداية نهاية قد يكون آخرها الرجم [1] .

هذا ، والإسلام يرى أن كشف جسد المرأة أو أجزاء منه هو فتنة من فتن الشيطان : ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا**﴾ [الأعراف : ٢٧] .

كما أوضح الله أن الملبس والاحتشام منَّة ونعمة وفضل إلهي فقال : ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأعراف : ٢٦] .

وعدم الالتزام بأحكام الملبس خارج البيت والتزين يسمى بالتبرج أو السفور.

---

(١) نقصد الزنا وجزاؤه الرجم للمحصن .

هذا ، وسنعرض فى هذا المبحث للعناصر التالية :

أولاً : التبرج ومعناه .

ثانيًا : جزاء المتبرجات .

ثالثًا : التبرج «السفور» فى فكر قاسم أمين .

أولاً : التبرج ومعناه :

التبرج : هو إظهار الجمال ، وإبراز محاسن الوجه والجسم ومفاتنها ، يقول الإمام البخارى: «التبرج أن تخرج المرأة محاسنها » والأصل مأخوذ من البروج ، وهى القصور العالية البينة الارتفاع ؛ فالمرأة المتبرجة تعلن عن محاسنها بإبرازها أو تحديدها . ويقول تعالى : ﴿ **وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَ**﴾ [النور : ٦٠] وقد اعتبر القرآن الكريم التبرج ردة إلى الجاهلية وعصر الظلام الخلقى : ﴿**وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

ولا شك أن طبائع النساء لإظهار الجمال والمنافسة بينهن فى إخفاء عيوبهن ، جعلت للزينة والتزين ، والبهرجة والتحرر نصيبا مفروضا عليهن وكأنه جزء منهن، فالمرأة لن تسمح بأن تكون أخرى أكثر جاذبية أو أكثر إظهاراً لجمالها أو إخفاء لعيوبها منها ، ومن هنا سارعت النسوة إلى ركوب كل انحلال ـ فى الغالب وحيث إن إبراز مفاتن المرأة وعورتها « الأنوثة » دعوة صريحة للرجال للنظر والتشهى والتمنى ثم تيسير السبل إلى طريق الغواية والفحشاء والزنى ، فقد أمر الله جل شأنه عباده بغض النظر للذكر والأنثى وحفظ الفروج للذكر والأنثى، ثم أمر الأنثى فقال تعالى : ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا**

إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٣١] .

ويقصد بالخمار : ما يغطى الرأس والوجه ، والجيب : هو فتحة الصدر ما بين بداية العنق حتى الثديين .

ويقصد بالزينة : كل ما يضفى حُسنًا وبهجة من حُلى وجواهر وثياب « غير شرعية » وأصباغ وأدهان وروائح إضافة إلى تعمد إظهار الأعضاء المثيرة فى المرأة أو التى حرم الله كشفها لغير محرم أو لغير الزوج .

ووصلت دقة التعبير القرآنى لإخفاء أعضاء المرأة ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِن﴾ [النور :٣١] . فهنا الأمر بعدم إتيان أى فعل ، ولو كان تعمد هز أسوار الأرجل « الخلاخيل » . الذى قد يشير إلى نية المرأة السيئة لجذب انتباه الرجال وعرض نفسها عليهم كحرم يمكن اجتيازه .

ومن مظاهر إبداء الزينة أيضا ، تعمد ترقيق الصوت وتنعيمه وليونته ، وهذا يؤدى أيضا لسوء الظن بصاحبته وأنها تبغى هوى فى النفس ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وتحرم هذه الزينة حتى فى المسجد. عن عائشة قالت : بينما رسول الله ﷺ جالس فى المسجد دخلت امرأة من مزينة ترفل [١] فى زينة لها فى المسجد ، فقال النبى ﷺ : « أيها الناس ، انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر فى المسجد ، فإن بنى إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخترو فى المسجد » رواه ابن ماجه [٢] .

ومن ذلك أيضا التعطر ، يقول الرسول ﷺ : « أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية » ، كما يقول ﷺ عن أبى هريرة : « أيما امرأة أصابت بخورًا فلا تشهدن العشاء » أى : الآخرة . رواه أبو داود والنسائى .

ومن إبداء الزينة أيضا : ارتداء ما يشف أو يرف أو يجسم ، لقول الرسول

---

(١) ترفل : تمشى فى زهو وخيلاء .

(٢) فقه السنة ٢ / ٢٥٩ .

ﷺ لأسماء بنت أبى بكر : « يا أسماء ، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا » وأشار للوجه والكفين .

ويقول تعالى آمرًا كل نساء المسلمين بلا استثناء مهما عظم قدرهن وتعالى شأنهن لارتفاع القيمة الاجتماعية أو سمو القيمة الدينية : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب :٥٩]

إذن لا خلاف بين الفقهاء على ضرورة الحجاب بمعنى عدم إبداء الزينة ، ولكن الخلاف فى الاستثناء فى قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ومن آراء العلماء فى ذلك: قول القرطبى فى معنى وتفسير إلا ما ظهر منها : « فلا تبدى المرأة من زينتها إلا ما ظهر من وجهها وكفيها . . . وقال بعض العلماء : إن المرأة إذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك ؛ وإن كانت عجوزا أو مقبحة جاز أن تكشف وجهها وكفيها ، والزينة على قسمين ، خلقية ومكتسبة : فالخلقية وجهها ، فإنه أصل الزينة وجمال الخلقة . . . ، وأما المكتسبة فهى ما تحاول المرأة فى تحسين خلقتها كالثياب والحلى والكحل والخضاب ، ومنه قوله تعالى : ﴿خُذُوا زِينَتَكُم﴾ [الأعراف : ٣١] ، ومن الزينة ظاهر وباطن ، فما ظهر فمباح أبدًا لكل الناس من المحارم والأجانب . . . ، وأما ما بطن فلا يحل إبداؤه إلا لمن سماهم الله تعالى فى هذه الآية ، أو حل محلهم ، واختلف فى السوار: فقالت عائشة : هى من الزينة الظاهرة لأنها فى اليدين ، وقال مجاهد : هى من الزينة الباطنة ، لأنها خارج عن الكفين ، وقال ابن العربى : وأما الخضاب فهو من الزينة الباطنة إذا كان فى القدمين » [1] .

أما فيما يختص بإبداء الزينة لمن تم استثناؤهم فى الآية فيقصد منها : « أمر الله سبحانه وتعالى النساء ألا يبدين زينتهن للناظرين : إلا ما استثناه من الناظرين فى باقى الآية حذار الافتتان ، ثم استثنى ما يظهر من الزينة : واختلف الناس فى قدر ذلك ، فقال ابن مسعود : ظاهر الزينة هو الثياب ، وزاد ابن جُبير الوجه، . . . . والأوزاعى : الوجه والكفان والثياب ، وقال ابن عباس وقتادة

(١) تفسير القرطبى ١٢/ ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

والمسور بن مخرمة : ظاهر الزينة هو الكحل والسوار والخضاب إلى نصف الذراع والقرط والفَتَخَ ، ونحو هذا فمباح أن تبديه المرأة لكل من دخل عليها من الناس وذكر الطبرى عن قتادة فى معنى الذراع حديثا عن النبى ﷺ ، وآخر عن عائشة عن النبى ﷺ قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر إذا عركت أن تظهر إلا وجهها ويديها إلى هاهنا » وقبض على نصف الذراع »[1] .

وعلى ذلك فالاختلاف فى مفهوم الزينة وما يجب ظهوره منها محل خلاف بين فقهاء وعلماء المسلمين ، وهذا الخلاف أساسه الرحمة ، حيث إنه متسع يسع عادات وتقاليد كل مجتمع أو أفراد ، فالمتساهل يجيز له كشف الوجه والكفين وشديد الغيرة يجوز له إخفاء ما شاء منهما وفقا لدرجة الجمال والخوف من الفتنة وطبقا لدرجة غيرته .

ويقول الشيخ محمد الغزالى عن أهمية غض البصر وعدم إبداء الزينة ومداها: « من المشكلات المضنية للبشر أن الغريزة الجنسية تولد وتتحرك وتقوى فى سِنّ اليفاعة ، أى حوالى الخامسة عشرة من العمر . أى قبل اكتمال القدرة العقلية ، واستطاعة النهوض بأعباء الزواج ، ورعاية الأسرة ، ومعاملة الصاحب الآخر بعدالة وشرف . . .

إن الزواج ليس تنفيسا عن ميل بدنى فقط ! إنه شركة مادية وأدبية واجتماعية تتطلب مؤهلات شتى ، وإلى أن يتم استكمال هذه المؤهلات وضع الإسلام أسس حياة تكفل الطهر والأدب للفتيان والفتيات على سواء . .

وأرى أن شغل الناس بالصلوات الخمس طول اليوم له أثر عميق فى إبعاد الوساوس الهابطة ، ينضم إلى ذلك منع كل الإثارات التى يمكن أن تفجر الرغبات الكامنة .

إن الحجاب المشروع ، وغض البصر ، وإخفاء الزينات ، والمباعدة بين أنفاس الرجال وأنفاس النساء فى أى اختلاط فوضوى ، وملء أوقات الفراغ بضروب الجهاد العلمى والاجتماعى والعسكرى ـ عند الحاجة ـ كل ذلك يؤتى

---

(١) تفسير القرطبى ١٢/ ٢٣١ .

ثمارا طيبة فى بناء المجتمع على الفضائل » (١) .

كما يقارن بين الحجاب الإسلامى والحجاب عند الراهبات والأوربيين فيقول: « إن الأوربيين يعرفون ملابس الفضيلة فى أزياء الراهبات عندهم ، وهذه الأزياء أقرب ما تكون إلى الحجاب الشرعى عندنا . وإذا نحن التزمنا بهذا الحجاب أنصفنا ديننا ، وأغرينا عشاق الفضيلة بالدخول فيه ! أما إخفاء الأيدى فى القفازات وإخفاء الوجوه وراء هذه النُقُب ، وجعل المرأة شبحًا يمشى فى الطريق معزولاً عن الدنيا ، فذاك لم يأمر به دين ! » (٢) .

ثانيًا : جزاء المتبرجات :

يجدر الإشارة إلى أن التبرج معصية ، حتى لو لم تؤد إلى الزنا الكامل ، فهو فى جميع الأحوال سيؤدى إلى زنا الجوارح ، واكتساب المتبرجة ما لا يحصى من الذنوب لإغوائها كل من ينظر إليها ويشتهيها وقد يتمناها فى نفسه أو يحيك حبائله حولها .

وحيث إن الحجاب وإبداء الزينة وفقا لتعاليم الإسلام هى من أوامر الله فى قرآنه ومن أوامر رسول الله ﷺ ، فإن من يعصى الله ورسوله فقد ضل وغوى وابتعد عن جادة الصواب . ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وأول عقاب لهذا الضلال إبطال الأعمال الصالحة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُم﴾ [محمد : ٣٣] .

وطالما استمر العاصى فى غيه فجزاؤه النار : ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء : ١٤] .

هذا ، وقد يدعى بعض النسوة ممن تأثرن بفجور الغرب أو أنصتوا لأكاذيبه

---

(١) الشيخ محمد الغزالى : قضايا المرأة ص٤١ مكتبة الأسرة .

(٢) الشيخ محمد الغزالى : قضايا المرأة ص٩ .

التى توضح أن إبداء الزينة والسفور والتبرج حرية شخصية ، لا يجب المساس بها وهؤلاء ينطبق عليهن قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص : ٥٠] .

فإذا أوضحنا لهن دليل الحجاب من القرآن والسنة ثم أصررن على اتباع هواهن من زينة ليست لخُلق أو خلقة ولكنها لفجور وفتنة ، انطبق عليهن قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية : ٧ ، ٨] .

وصدق تعالى حيث قال : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون : ٧١] .

وما نراه من شتى أنواع الفساد الخلقى والإنسانى والاجتماعى والاقتصادى والصحى هو نتيجة لأهم فساد حالى وهو التبرج والسفور . وحرية المرأة التى لا ضابط لها من شرع حكيم أو خلق قويم .

ثالثا : التبرج « السفور » فى فكر قاسم أمين:

طالب قاسم أمين فى كتابه الأول ـ تحرير المرأة ـ بكشف الوجه والكفين فقط باعتبار أن هذا يتوافق مع أحكام الشريعة الإسلامية ، والملاحظ أنه ودعاة التحرر فى عهده لم يتعرضوا لزينة الوجه من مكياج ولكشف الرأس أو اتباع موضات معينة فى الملابس ، تدعو إلى ارتداء الفاضح من الثياب ، وذلك لأن مرحلة كشف الوجه واليدين هى المرحلة الأولى التى يجب الدعوة إليها باعتبارها تلقى قبولاً دينيًا ، ثم بعد ذلك يألفها الناس ، ومن ثم يتم النداء إلى تحرر آخر بعد الوجه والكفين ، وهذا ما نجده فى صورة « هدى شعراوى » وهى فى سن ١٩ سنة ، حيث كانت تضع الزينة الكاملة للوجه من ماكياج وغيره ، وعارية الرأس مع قص الشعر على الطريقة الأوربية .

أما فى الكتاب الثانى لقاسم أمين وهو « المرأة الجديدة » فتمت الدعوة فيه لتقليد الغرب فى عاداته وتقاليده والدعوة إلى الاقتداء به ، وبالتالى عدم التقيد بالتعاليم الدينية .

ففى كتاب تحرير المرأة يقول قاسم أمين : « فإننى لا أزال أدافع عن الحجاب وأعتبره أصلاً من أصول الأدب التى يلزم التمسك بها ، غير أنى أطالب بأن يكون منطبقا مع الشريعة الإسلامية . . فالذى أراه . . أن الغربيين قد غلوا فى إباحة التكشف للنساء إلى درجة يصعب معها أن تتصون المرأة من التعرض لمثارات الشهوة وما لا ترضاه عاطفة الحياء ، وقد تغالينا نحن فى طلب التحجب والتحرج من ظهور النساء لأعين الرجال حتى صيَّرنا المرأة أداة من الأدوات أو متاعا من المقتنيات وبين هذين الطرفين وسط . . هو الحجاب الشرعى وهو الذى أدعو إليه » (١) .

هذا ، ولم يعترف قاسم أمين نهائيا بأن تغطية الوجه والكفين إذا كانا من الجمال والحُسن ـ يؤديان إلى الإعجاب الشديد والفتنة ، بل وينتقد تشريع الحجاب للمرأة فقط وليس للرجل أيضا فيقول : « أما دعوى أن ذلك من آداب المرأة فلا إخالها صحيحة لأنه لا أصل يمكن أن ترجع إليه هذه الدعوى ؛ وأى علاقة بين الأدب وكشف الوجه وستره ؟ وعلى أى قاعدة بنى الفرق بين الرجل والمرأة؟ أليس الأدب فى الحقيقة واحدا بالنسبة للرجال وللنساء وموضوعه الأعمال والمقاصد لا الأشكال والملابس ؟

وأما خوف الفتنة الذى نراه يطوف فى كل سطر مما يكتب فى هذه المسألة تقريبا فهو أمر يتعلق بقلوب الخائفين من الرجال وليس على النساء تقديره ولا هن مطالبات بمعرفته . وعلى من يخاف الفتنة من الرجال أن يغض بصره ، كما أنه على من يخافها من النساء أن تغض بصرها ، والأوامر الواردة فى الآية الكريمة موجهة إلى كل من الفريقين بغض البصر على السواء . وفى هذا دلالة واضحة على أن المرأة ليست بأولى من الرجل بتغطية وجهها .

عجبا ! لم لم تؤمر الرجال بالتبرقع وستر وجوههم عن النساء إذا خافوا الفتنة عليهن ؟ هل اعتبرت عزيمة الرجل أضعف من عزيمة المرأة ، واعتبر الرجل أعجز من المرأة عن ضبط نفسه والحكم على هواه ، واعتبرت المرأة أقوى منه فى كل ذلك حتى أبيح للرجال أن يكشفوا وجوههم لأعين النساء مهما كان لهم من

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص ٦٠ .

الحسن والجمال ، ومنع النساء من كشف وجوههن لأعين الرجال مطلقا خوف أن ينفلت زمام هوى النفس من رابطة عقل الرجل ، فيسقط فى الفتنة بأية امرأة تعرضت له مهما بلغت من قبح الصورة وبشاعة الخلق ؟! إن زعم زاعم صحة هذا الاعتبار رأينا هذ اعترافا منه بأن المرأة أكمل استعدادا من الرجل ـ فلم توضع حينئذ تحت رقه فى كل حال ؟ فإن لم يكن هذا الاعتبار صحيحا فلم هذا التحكم المعروف » (١) .

ونحن نقول ردًا عليه :

الأدب واحد بالنسبة للرجال والنساء ، ومن مظاهره الأشكال والملابس !! وهل لا يعتبر العرى والتخلص من الملابس من مظاهر قلة الأدب وانعدام الحياء؟! أما الخوف من فتنة المرأة للرجل فتلك حقيقة لا يجب إنكارها أو التقليل منها لقول الرسول ﷺ : « ما تركت بعدى فتنة هى أضر على الرجال من النساء»(٢).

كما جاء عن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما قال : كان الفضل رديف رسول الله ﷺ فجاءت امرأة من خثعم ، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، وجعل النبى ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ، فقالت : يا رسول الله ، إن فريضة الحج أدركت أبى شيخًا كبيرا لا يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال : «نعم»، وذلك فى حجة الوداع (٣) .

والواقع أن الإسلام أمر الرجل والمرأة على السواء بغض البصر ، ولكن كشف المرأة لوجه فاتن ، وكذلك كشف الرجل لوجه قد يكون فيه مظاهر القوة والرجولة والجمال ، فإن ذلك سيؤدى حتمًا إلى إعجاب متبادل ورغبة متبادلة وتسهيل عمل نفسين أمارتين بالسوء « بطبيعة الإنسان » ، والتعاون مع شيطانين رجيمين فى تزيين الفتنة والدعوة إلى الخطأ ثم الوقوع فى الخطيئة ، أما كشف وجه واحد « الرجل » فهو أقل ضررًا . والحقيقة أن المرأة تعرض الجمال

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص٦٨ .

(٢) رواه مسلم عن أسامة بن زيد .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

والغواية فيسعى إليها الرجل ، والمرأة لسيت بأقل عزيمة فى مقاومة الخطيئة من الرجال ولكنها أكثر إغراءً من الرجال [١] .

كما ينبغى الإشارة إلى أن عدم تغطية وجه الرجال كالنساء له ما يبرره حيث إنهم المكلفون أساسًا بالسعى والعمل وليس النساء ، فعمل المرأة خارج بيتها وخروجها هو استثناء من قاعدة وليس قاعدة .

وفى بداية كتابه المرأة الجديدة يبدأ قاسم أمين نقد الحجاب الإسلامى فيقول: « ما أوردناه فى كتاب « تحرير المرأة » من النصوص القرآنية صريح فى إباحة كشف الوجه واليدين ، ومعاملة النساء للرجال وقد وافقنا على ذلك كثير من علماء المسلمين الذين نقلنا آراءهم ، أما أن فريقًا آخر من الفقهاء استحسن التشديد فى الحجاب فهذا رأى لم يلزمنا الدين باتباعه » [٢] .

وهذه الفقرة توضح لنا أن هذا الداعى صادر حقوق باقى الفقهاء فى اعتبار إخفاء الوجه واليدين هو من الحجاب الإسلامى ، فأعطى لنفسه حقا حجبه عن الغير ، ونسى أن اختلاف الفقهاء المبنى على أسس قويمة من الدين هو من الرحمة ، حتى تتناسب الأحكام مع كل زمان ومكان ومجتمع ، وهذه مرونة تشريعية سامية المقصد .

هذا ، وقد تجرأ قاسم أمين على نقد الحجاب الإسلامى واعتبره عادة موروثة عن الأديان والأمم السابقة وهى ليست من الإسلام فيقول : « وكل من عرف التاريخ يعلم أن الحجاب دور من الأدوار التاريخية لحياة المرأة فى العالم ، قال « لا روس » تحت كلمة خمار ، كانت نساء اليونان يستعملن الخمار إذا خرجن ، ويخفين وجههن بطرف منه كما هو الآن عند الأمم الشرقية ، وترك الدين المسيحى للنساء خمارهن فى الطريق وفى وقت الصلاة ، وكانت النساء تستعمل الخمار فى القرون الوسطى . . . ومن هذا يرى القارئ أن الحجاب الموجود عندنا ليس خاصًا بنا ، ولا أن المسلمين هم الذين استحدثوه»[٣] .

---

(١) ملكات الإغراء فى السيما كثيرات مشهورات ولا يوجد ملك إغراء رجل .

(٢) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص٧ .

(٣) قاسم أمين : تحرير المرأة ص٦٢ .

هذا ، وقد تغافل قاسم أمين عن أحكام الحجاب الواردة فى سورة النور ٣٠، ٣١ وفى سورة الأحزاب ٥٩ وغيرهما ، كما لم ينتبه إلى تفسير هذه الآيات فى كتب التفاسير .

يقول القرطبى فى تفسير آيات سورة النور (٣١) : « روى البخارى عن عائشة أنها قالت : « رحم الله نساء المهاجرات الأول ، لما نزل : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن أزرهن فاختمرن بها » .

والخمر : جمع خمار وهو ما تغطى به المرأة رأسها .

والجيوب جمع الجيب ، وهو موضع القطع من الدرع والقميص ، والجيب إنما يكون فى الثوب موضع الصدر » (١) .

وجاء بتفسير الجلالين سورة النور الآية (٣١) : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أى سترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع (٢) .

وجاء بتفسير الجلالين عن تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب :٥٩] جمع جلباب وهى الملاءة التى تشتمل بها المرأة أى يرخين بعضها على الوجوه إن خرجن لحاجتهن (٣) .

ومن هذا العرض السريع يتضح أن الحجاب بمعنى ستر الوجه والرأس هو من تعاليم الإسلام ، وليس بدعة تم اقتباسها من ثقافات أخرى ويُصر قاسم أمين على أن الوجه ليس من أسباب الفتنة فيقول : « ليست أسباب الفتنة ما يبدو من أعضاء المرأة الظاهرة ، بل من أهم أسبابها ما يصدر عنها من الحركات فى أثناء مشيها ، وما يبدو من الأفاعيل التى ترشد عما فى نفسها . والنقاب والبرقع من أشد أعوان المرأة على إظهار ما تظهر وعمل ما تعمل لتحريك الرغبة ؛ لأنهما يخفيان شخصيتها فلا تخاف أن يعرفها قريب أو بعيد فيقول فلانة أو بنت فلان أو

---

(١) تفسير القرطبى ١٢/ ٢٣١ .

(٢) تفسير الجلالين ص٣٥٣ طبع دار الغد الجديد.

(٣) تفسير الجلالين ص ٤٢٦ .

زوجة فلان كانت تفعل كذا فهى تأتى كل ما تشتهيه من ذلك تحت حماية ذاك البرقع ، وهذا النقاب . أما لو كان وجهها مكشوفا فإن نسبتها إلى عائلتها أو شرفها فى نفسها يشعرانها الحياء والخجل ، ويمنعانها إبداء حركة أو عمل يتوهم منه أدنى رغبة منها فى استلفات النظر إليها » (١) .

ونحن نتفق معه فى أن هناك حركات أخرى قد تسبب إغراء وإغواء الرجل وتدعو للفتنة ، وقد أوضح الحق جل وعلا بعضها فقال : ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور : ٣١] . ولكن هذا لا يمنع أن جمال الوجه هو أشد منه إغواءً ، فلو أن المرأة ليست ذات جمال أخاذ وكانت عديمة الجمال فلن تؤثر حركاتها فى الرجال بنفس درجة جمال الوجه الذى يشبه بالقمر .

كما أننا نتفق معه على أن هناك الكثير من الآثام تتم باستغلال الحجاب ، حتى أن بعض الرجال يتحججون ليدخلوا البيوت مستترين بالحجاب ليقوموا بعمل الفواحش ، ولكن هؤلاء قلة ، ولا بد حتى ينجحوا فى خططهم من علم من يستقبلوهن من النساء حقيقة أمرهم حتى يساعدوهم فى تحقيق مآربهم .

إن كافة التشريعات الإلهية ، قد يستغلها البعض ويجعلها سبيلاً لتيسير معصية، كمن يسرق المحلات وأصحابها يصلون ، فهل يعنى ذلك إلغاء الصلاة؟! وكثيرا من القوانين الوضعية تستغل للإفلات من العقاب ، فهل يعنى ذلك إلغائها؟! فإذا لم يلتزم شخص بتعاليم المرور فهل تلغى قوانين المرور ؟!

إن دعوة قاسم أمين للسفور هى بداية دعوة بغيضة آثمة لما بعد السفور ، تلك الدعوة التى قام بها من بعده دعاة الفجور باسم التحرر .

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص ٦٧ .

المبحث الثالث

آداب الحجاب داخل البيوت وتنظيم العلاقات الاجتماعية والأسرية

الإنسان كائن اجتماعى ، أى لا تطيب له الحياة إلا فى مجتمع ، ولا تكتمل سعادته وتظهر مواهبه إلا من خلال المجتمع .

وسجن الإنسان لا يكون رادعًا إلا بعزله الشديد عن المجتمع الذى يحيا فيه؛ولذلك كان السجن الانفرادى من العقوبات اللا إنسانية .

والمرأة فى الإسلام هى الشطر الأكبر عددًا والأكثر تأثيرا فى المجتمع ، ولا خلاف بين الأديان السماوية أن مهمة المرأة الأولى والرئيسية والأساسية التى خُلقت لها ومن أجلها هى البيت كزوجة وأم ، ثم العمل خارجه عند حاجة المجتمع إليها ، أو عند حاجتها للعمل ، أو إذا كان العمل يتناسب مع طبيعتها كأنثى .

والإسلام كدين كامل شامل لم يغادر صغيرة ولا كبيرة تنظم حياة المرأة إلا ووضع لها الضوابط الشرعية المستمدة من الأحكام الإلهية من قرآن وسنة . فقد نظم الإسلام علاقات الأسرة بغيرها من أفراد أو أسر أو مجتمع ، حتى لا تصبح البيوت كساحة لعب ولهو وحرم مباح لا حُرمة له ولا احترام ، وكانت أحكامه من الوسطية والاعتدال بحيث لا تصبح البيوت سجونًا صغيرة لمن بداخلها .

هذا ، وسنتحدث فى آداب الحجاب داخل البيوت كما يلى :

أولاً : الآداب العامة مع غير المحارم ممن يدخلون البيت :

وهذه الآداب تهدف إلى حفظ كرامة وحياء أهل البيت والحفاظ على شرفهم وعفافهم ، حتى لا يكون البيت سترا حاجبًا لأمراض اجتماعية وخلقية ودينية وجنسية حرمها الإسلام .

ومن هذه الآداب :

١ ـ تحريم الخلوة مع غير المحرم :

قد يظن البعض أن الإسلام يُحرم دخول البيت نهائيا لغير أهل البيت من أصدقاء وأقارب وجيران أو غيرهم ، كما يحرم مجالسة هؤلاء والحديث معهم ، وهذا خطأ كبير ، فالإسلام لم يحرم ذلك وإنما حرم الخلوة بين الرجل الأجنبى والمرأة فى البيت ، باعتبار أن البيت ليس مكانا عامًا .

يقول عبد الحليم أبو شقة عن ذلك : « فكثيرا ما يلقى الرجال النساء وكثيرا ما يتحدث الرجال مع النساء سواء فى البيوت خلال زيارة أو ضيافة على طعام أو طلب معروف أو شفاعة أو تقديم هدية أو عيادة مريض أو تعزية ومواساة . أو خارج البيوت فى استفتاء أو أمر بمعروف أو تقديم معروف أو عرض زواج أو عمل مهنى أو نشاط سياسى .

إن لقاء النساء والرجال بآدابه الشرعية هو ما يمكن أن نطلق عليه حسب التعبير الشائع الآن (الاختلاط المشروع) وهو ظاهرة صحية . ونعنى بها ممارسة المرأة الحياة الجادة لا العابثة ، النشطة لا الخاملة ، الطاهرة لا الخبيثة ، الخيرة لا الشريرة . ويأتى لقاؤها الرجال نتيجة لازمة من لوازم ممارسة هذا النوع من الحياة. ومن هنا تنتفى كل صور اللقاء التى تدعو إليها داعية الشهوة والمتعة وتثبت كل صور اللقاء الجاد سواء كان عفويا يحقق يسر الحياة أو كان مقصودا هادفا يحقق خيرا أو يقدم معروفا . ولما كان كل من الانعزال واللقاء مشروعا فى ديننا فإن الحياة الجادة النشطة الخيرة هى التى تحدد للمرأة فى كل وقت وفى كل مجال ما إذا كان الأولى الانعزال أو لقاء الرجال . أى أن المرأة المسلمة لا تقصد لقاء الرجال استمتاعا بصحبتهم ؛ فهذا محظور شرعا ، إنما تقصد ممارسة الحياة النشطة الخيرة سواء أدى ذلك إلى لقاء الرجال أو الانعزال عنهم .

إن المشاركة ولقاء الرجال هما من سنن الحياة الإنسانية أى من سنن الاجتماع البشرى منذ القدم ، تماما كسنة الزواج» (١) .

وتحريم الخلوة ، شُرِع درءًا لمفسدة عظيمة وهى الخوف من استباحة حرمات

---

(١) الأستاذ عبد الحليم أبو شقة : تحرير المرأة فى عصر الرسالة ١٦/٢ ، ١٧ ـ دار القلم الكويت.

الله ، وحرمات البيوت ، فما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما ، وهى حقيقة تزداد يقينًا بتكرار اللقاء وطول اللقاء وقرب اللقاءات ، ولذلك قال الهادى البشير ﷺ : « لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذى محرم » (١) .

كما قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس ذو محرم معها ، فإن ثالثهما الشيطان» (٢) .

كما قال : « لا تلجوا على المغيبات ، فإن الشيطان يجرى فى أحدكم مجرى الدم » (٣) .

١ ـ قال الرسول ﷺ : « لا يدخلن رجل بعد يومى هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان » (٤) .

ومن السنن أيضا عدم إدخال من يكره الزوج البيت حتى فى وجود المحرم، وذلك لقول الرسول ﷺ فى خطبة الوداع : « ألا واستوصوا بالنساء خيرًا فإنما هن عوان (أى أسيرات) . . . فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهونه ولا يأذنَّ فى بيوتكم من تكرهونه » (٥) . . . .

ونظرًا لأن القرابة الشديدة من نسب أو مصاهرة أو صداقة قد تؤدى إلى سهولة الخلوة فقد شدد الرسول ﷺ على اتقاء الخلوة بمن لا يحل من الأقارب ، وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « إياكم والدخول على النساء» فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله، أفرأيت الحمو ؟ قال الرسول ﷺ : «الحمو ، الموت » (٦) .

٢ ـ الاستئذان قبل دخول البيوت :

ومن الآداب الإسلامية التى سبقت : « أصول البروتوكول » آداب دخول البيوت التى تسمى إسلاميًا بالاستئذان .

---

(١) الحديث عن ابن عباس وهو متفق عليه .
(٢) رواه أحمد عن جابر .
(٣) رواه الترمذى .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه الترمذى وابن ماجه .
(٦) رواه البخارى ومسلم ، والحمو هو قريب الزوج .

يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨) لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النور : ٢٧ ـ ٢٩] .

والهدف هو عدم تعرض البيوت بما فيها من أسرار عامة أو عورات خاصة للتكشف حتى لو عن غير قصد ، أو بقصد لتسهيل طرق الغواية ، ومن هذه العورات ، عورات الطعام واللباس والشراب وكل ما يكره الإنسان من أوضاع لا يحب أن يطلع عليها غيره .

والاستئذان بإلقاء التحية : السلام عليكم ، أأدخل ؟

عن عمر بن سعد الثقفى أن رجلاً استأذن على النبى ﷺ فقال : أألج أو ألج « يعنى أدخل » فقال النبى ﷺ لأمة عنده تسمى روضة : « قومى إلى هذا الرجل فكلميه ، فإنه لا يُحسن يستأذن ، فقولى له يقول : السلام عليكم أأدخل» فسمعها الرجل فقال : « أأدخل »[1] .

ومن آداب الاستئذان عدم استقبال البيوت مواجهة ، بل بزاوية من جهة اليسار أو اليمين ، حتى إذا فتح الباب لم تقع عين الزائر على ما بداخل البيت مباشرة .

عن عبد الله بن بسر قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول : السلام عليكم، وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور[2] .

ومن آداب الاستئذان عدم النظر من أى ثغرة لداخل البيوت ، عن سعد بن سهل قال : اطلع رجل من جحر فى حجرة النبى ﷺ ، ومعه مدى يَحُك بها رأسه ، فقال : « لو علمت أنك تنظر لطعنت بها عينيك ، إنما جُعل الاستئذان

(١ ، ٢) رواهما أبو داود .

من أجل البصر » (١) .

ومن سنن الاستئذان أن يستأذن الرجل إن أراد دخول بيت فيه محارم له كأمه وأخته وغيرهما ، فعن عطاء بن يسار أن رجلاً قال للنبى ﷺ : أأستأذن على أمى ، قال : « نعم » قال : إنها ليس لها خادم غيرى ، أفأستأذن عليها كلما دخلت ، قال الرسول ﷺ : « أتحب أن تراها عريانة ؟!! » قال الرجل : لا ، قال : « فاستأذن عليها » (٢) .

ومما سبق يتبين أن آداب دخول البيوت والبقاء فيها ، هى آداب أخلاقية سامية سبق بها الدين الإسلامى آداب البروتوكول الحديث وتسامى عليها ، أين ؟ فى بيئة بدوية ، ومتى ؟ منذ حوالى خمسة عشر قرنا من الزمان .

ثانيا : آداب عامة مع أهل البيت من محارم وأولاد وخدم ونساء :

تختلف آداب الزيارة عن آداب التعامل مع من يقيمون فى البيت بصفة أساسية دائمة أو شبه دائمة ، فالزيارة مؤقتة محددة الوقت ومحددة المكان غالبًا، فأهل البيت يستعدون لاستقبال الأضياف ويتهيؤون لذلك ، أما المقيمون فى البيت من زوج وأقارب وأبناء ونساء وخدم ، فغالبًا لا يستعد للقائهم ، ولذلك فقد نظم الإسلام علاقة المرأة بأهل البيت تنظيما دقيقًا لم تسبقه إليه شريعة أخرى أو قانون مهما بلغ رُقيه .

ويمكن القول : إن هذه الآداب تشمل أدبين هامين هما :

١ ـ آداب إبداء الزينة :

نقصد بالزينة ، ما يظهر من أجزاء جسم المرأة وما ترتديه من ملابس ، وكذلك ما تتخذه لتجميل نفسها من حُلى أو طيب أو غيره .

ويقول تعالى عن ذلك : ﴿ **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ**

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه ابن جرير .

التَّابعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٣١] .

وقد اختلف فى معنى الزينة : فقوم يرون أنها القرط والدملوج والخلخال والقلادة ، والبعض يرى أنها زينتان فزينة لا يراها إلا الزوج الخاتم والسوار ومن الملابس ما يناسب الجماع ويشجع عليه وقد يكون من لوازمه ، وزينة يراها الأجانب وهى ظاهر الثياب ، والبعض يرى أن الزينة المصرح بها هى الوجه والكفين فقط .

ويرى العلماء أنه :

يجوز رؤية الزينة المعتادة للمرأة فى بيتها لعدة أصناف من الأقارب وهم كما فى الآية : ﴿ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور : ٣١].

* البعل : الزوج ، أبو المرأة ، أبو زوجها ، الأبناء ، أبناء الزوج من نساء أخريات ، الإخوة وأبناؤهم ، الأخوات وأبناؤهم .

* والنساء ويفضل المسلمات ، أما غير المسلمات فإن لم يوثق فى أمانتهن يرى بعض الأئمة عدم إبداء الزينة لهن حتى لا يصفنها لرجالهن .

* وما ملكت الأيمان : أى العبيد والإماء ، ولا خلاف على الإماء ، أما العبيد من الرجال فهناك خلاف فقهى بين الجواز والمنع .

* والتابعين غير أولى الإربة من الرجال : كبار السن من الخدم الرجال ، والمخنثين والخصيان . أى الذين لا مطمع لهم فى النساء ولا مطمع للنساء فيهم.

* أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء : أى الأطفال الذين لم يبلغوا سن البلوغ .

والهدف من ذلك كله حماية المرأة وصون عفافها وحفظ كرامتها وعدم خدش حيائها .

٢ ـ آداب الاستئذان داخل البيت فى أوقات الراحة أو الخصوصية :

البيت محل السكن ، والسكن من السكون أى الراحة ، وهناك أوقات يفضل أصحاب البيت فيها القيلولة أو وضع الثياب المعتادة للنوم ، أو أوقات مداعبة وغزل أو جماع بين الرجل وزوجته وهذه الأوقات يجب ألا يدخل على الرجل وامرأته أحد حتى الأبناء :

ويقول تعالى فى ذلك : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[النور : ٥٨ـ٦٠] .

ويقول ابن كثير فى شرح هذه الآيات :

هذه الآيات الكريمة اشتملت على استئذان الأقارب بعضهم على بعض . . . فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيمانهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم فى ثلاث أحوال :

الأول : من قبل صلاة الفجر لأن الناس إذ ذاك يكونون نياما فى فرشهم .

ووقت القيلولة لأن الإنسان قد يضع ثيابه فى تلك الحال مع أهله .

وبعد صلاة العشاء لأنه وقت النوم ، فيؤمر الخدم والأطفال أن لا يهجموا على أهل البيت فى هذه الأحوال لما يخشى أن يكون الرجل مع أهله أو نحو ذلك . ولهذا قال تعالى : ﴿ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ

بَعْدَهُنَّ ﴾» (١) .

وغير هذه الأوقات فلا يتطلب الأمر استئذانًا .

ويلاحظ أن هذه الآداب تكفل للنشء الحماية من رؤية أمور قد تؤذيهم نفسيًا وتنشئ لديهم عقدًا مرضية نفسية إذا كانوا فى سن الطفولة والصغر ولم يدركوا حقيقة العلاقة بين الأم والأب ، أما فى الكبر وما بعد البلوغ فقد تؤدى إلى إثارة البنات والذكور جنسيا وتكون مدعاة إلى إثارة غرائز قد يكون من الصعب التحكم فيها (٢) .

ثالثًا : قاسم أمين وآداب الحجاب داخل البيوت :

لم ير قاسم أمين لآداب الحجاب داخل البيوت ضرورة ، باعتبار أن الأهم هو حسن تربيتها وصيانتها الذاتية لنفسها :

يقول قاسم أمين : « متى خرج أحدنا من منزله أو سمح لامرأته أن تخرج بسبب من الأسباب فعلام يتكل إن لم يكن على صيانتها وحفظها نفسها بنفسها ؟ ثم ماذا يفيد الرجل أن يملك جسم امرأته وحده إذا غاب عنه قلبها ؟ أيستطيع أن يمنعها أن تتصرف فيه وتبذله لأى شخص تريد ؟ ألم يتمزق حجاب العفة فى هذه اللحظة ؟ وهل بعد المسافة بينها وبين الرجل وعدم تمكنها من مواصلته يسمى عفة؟ نعم إن الشرائع لا تعاقب ولا تقيم الحد على زنا العين والقلب ؛ لأن العقوبات والحدود لا سلطان لها على الخواطر والقلوب ، ولكن فى نظر أهل الأدب والتقوى لا عبرة للبعد بين الأجساد إذا تواصلت الأرواح واجتمعت القلوب » (٣) .

والواقع أن الإسلام بين آداب الحجاب ، كما أوضح آداب العفة وتعاليم حسن الخلق ، ولا يُغنى أيهما عن الآخر ، فالشهوة قد تكون أقوى من كل خلق

---

(١) الحافظ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣/ ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٢) اقتحم التليفزيون والفيديو والإنترنت أخيرًا بيوتنا ، فضاع الحياء من كثير من الأسر .

(٣) تحرير المرأة ص ٨٢ .

قويم لو أتيحت لها الفرصة ، والتخلى عن أحكام الحجاب هو بمثابة إتاحة فرصة أكبر للانزلاق إلى هاوية المحرمات .

وقاسم أمين يناقض نفسه فيقول : « ماذا يفيد حفظ المرأة فى البيت إذا رأت شخصا وتمنته فى نفسها ! ألا يعتبر ذلك خيانة قلبية » .

ونحن نقول له : هل من الأفضل أن نيسر لها لقاءه حتى تتحول الخيانة القلبية إلى فعلية وجسدية ؟ إن الحجاب هنا منعها من احتمال السقوط فى الفاحشة ، ومهما بلغت درجة التقوى والعفة فإن ذلك لا يمنع النفس من الأمر بالسوء والتمنى والتشهى إلا من رحم ربك فنحن لسنا ملائكة ولسنا مطالبين بالكمال الكامل ، ولكن بالابتعاد عن مغريات سقوط النفس .

ويتمادى قاسم فى النقد فيقول : « ومع ذلك ما الذى فعل الحجاب ؟ ألم نسمع بما يجرى فى داخل البيوت مما ينافى العفة ويخل بالشرف ؟ هل منع البرقع وقصر النساء وراء الحجاب والأقفال سريان الفساد إلى ما وراء تلك الحجب ؟! كلا ! » (١) .

ويبدو أنه قد غاب عن ذهن قاسم أمين أن الهدف من الحجاب هو تقليل حالات الفسق والفجور والزنا ، حيث إنه من المستحيل القضاء عليها نهائيا، ولكن سهولة الاختلاط واللقاء تؤدى إلى تسهيل الخطأ وتفشى الخطيئة .

والعجيب أن قاسمًا أوضح ما سبق أن أوضحناه من مزايا الحجاب فقال : «ومزاياه تنحصر فى أمر واحد هو أنه يقلل الزنا ، حيث يحول بين الصنفين ويمنع الاختلاط بينهما فى الظاهر ، وإن لم ينزع الميل إليه من النفوس ، فيكون ما يسمونه عفة . . . أجساد فى صيانة ، وأغلب القلوب فى خيانة ! » (٢) .

وفى هذه الفقرة تتضح أهمية الحجاب وضرورة تغطية الوجه والكفين ، فإذا كان وجه المرأة جميلاً جدًا ، ويخشى من رؤيتها الفتنة حتى لو بالتمنى ، فقول العلماء الراجح هو تغطية مواطن الفتنة .

---

(١) تحرير المرأة ص ٨٢.

(٢) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص ٤٨ .

ولنا أن نتساءل مرة أخرى : ما هو الأهون ، الخيانة فى القَلب أم الخيانة بالقلب والجسد واستحلال الفروج واختلاط الأنساب ؟!

هذا ، ويناقض داعية التحرير نفسه مرة أخرى ، فبعد أن اعترف بأن الحجاب موجب للعفة وعدم الزنا يقول : « على أن القول بأن الحجاب موجب للعفة وعدمه مجلبة للفساد ، قول لا يمكن الاستدلال عليه ؛ لأنه لم يقم أحد إلى الآن بإحصاء عام يمكن أن نعرف به عدد وقائع الفحش بالضبط »[1] .

ونحن نقول : إن الأمور البديهية لا تجرى لها إحصائيات .

ومما سبق يتضح أنه حاول التقليل من أهمية الحجاب وزرع الشك فى أهميته .

(١) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص٤٨، ومعلوم أنه لا يمكن حصر حالات الفحش بالضبط فى أى مجتمع لأن ما يعلم هو نسبة ضئيلة مما يزاول فعلاً .

obeikandl.com

المبحث الرابع

معان ومفاهيم خاطئة عن الحجاب فى الإسلام

كثرة تناول موضوع الحجاب فى الإسلام أدى إلى زرع مفاهيم خاطئة عن مفهومه ومعناه وتطبيقه فى حياة المسلمين ، حتى ظن الغربيون وبعض جهلة المسلمين ، أنه يعنى الحبس المطلق للمرأة فى البيت بدون كفالة أية حقوق لها أو حريات ، فهو حجب عن الكلام وعن النظر وعن السمع وعن كافة أشكال العلاقات الإنسانية والاجتماعية ، ومن ثم العزلة الكاملة عن المجتمع كأنها فى سجن انفرادى ، مما أدى إلى ضياع أواصر المحبة والصداقة والمودة والتراحم بين أعضاء المجتمع من أسر أو أفراد ذكور وإناث .

والواقع أن الحجاب الشرعى الإسلامى يمنع الخلوة بين الرجل الأجنبى والمرأة داخل البيت ، كما يمنع النساء من استقبال من يكره الزوج من رجال ونساء فى بيته، والآداب الإسلامية تنظم هذه العلاقات » .

والإسلام لا يمنع اللقاء السريع العابر داخل البيوت لتقديم الهدايا وعيادة المريض والمواساة والتعزية وطلب المعروف وطلب الدعاء وطلب قضاء حاجات خاصة .

كما لا يمنع اللقاءات الطويلة كالزيارات للضيافة وإقامة الولائم .

هذا ، ولا يحجر الإسلام على المرأة الخروج من البيت وذلك للعبادة فى المسجد وخارجه ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والمشاركة فى الجهاد عند الضرورة ـ وتلقى العلم ، وفى العمل المهنى ، والمشاركة فى الأفراح أو التعزية، وغير ذلك من شتى مناحى المشاركات الاجتماعية .

ونظرًا لطول الدراسة لو أسهبنا فيها فإننا سنقصرها على بعض الأمور الهامة.

أولاً : تبادل التحية بين الرجال والنساء :

يقول تعالى : ﴿ وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾ [النساء : ٨٦] ، فهذا النداء لكل المسلمين المؤمنين رجالاً ونساء .

وقد روى الإمام أحمد فى مسنده : كان رسول الله ﷺ يمر بنساء فيسلم عليهن ، وعن أم هانئ بنت أبى طالب قالت : ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره فسلمت عليه فقال: «من هذه » (١) .

والسلام والتحية من آداب دخول البيوت لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النور : ٢٧]، وفقهاء المسلمين مجمعون على جواز السلام المتبادل بين الرجال والنساء طالما لا يؤدى إلى فتنة .

ثانيا : تبادل الزيارات واللقاءات العائلية :

إن من أسس التكافل الاجتماعى ونشر أواصر المحبة فى أى مجتمع هو اللقاءات والزيارات العائلية المتبادلة بين الأقرباء والأصدقاء والغرباء ، وهذا من آداب الإسلام .

وقد حض القرآن الكريم على ذلك فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

ولم يقتصر ذلك على علاقة المسلمين برسولهم ، بل أمروا بتبادل الزيارات والإطعام فى قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى

---

(١) الحديث عن أبى النضر عن أبى مرة مولى أم هانئ ، ورواه البخارى ومسلم .

الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور : ٦١] .

والآية الكريمة شملت القرابة من الدم والنسب والصداقة وبذلك شملت كافة المجتمع .

وقد تعدت هذه الزيارات المسلمين إلى غيرهم من أهل الكتاب ، حتى يكون المجتمع بأسره نسيجًا واحدًا وإن اختلف الدين : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون : ٦] ، فيقول العزيز الحكيم : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُم ﴾ [المائدة : ٥] .

وبالطبع فإن تناول الطعام يستلزم دخول البيوت والدعوة المتبادلة للولائم سواء بمناسبة كالأفراح والأعياد أو للتعارف ، ولا يحرم مخالطة النساء للرجال فى هذه الزيارات طالما كانت النساء متمسكات بآداب الزينة الإسلامية ، ويجوز تناول الطعام على مائدة واحدة تضم النساء والرجال ، كما يجوز لنساء المضيف خدمة الضيوف .

عن سهل قال : لما عرس أبو أسيد دعا النبى ﷺ وأصحابه فما صنع لهم طعامًا ولا قربه إليهم إلا امرأته أم أسيد (١) .

وها هى أخرى ترعى زوجها أثناء مرضه ولم تتركه لحضور من يعوده، قال قيس بن أبى حازم : دخلنا على أبى بكر فى مرضه فرأيت عنده امرأة بيضاء موشومة اليدين (٢) ، تذب عنه (٣) ، وهى أسماء بنت عميس (٤) .

---

(١) رواه البخارى ١٠/ ١٦٠ ، ومسلم ٦/١٠٣ .

(٢) موشومة اليدين : مرسوم على يديها وشم .

(٣) تذب عنه : تدفع عنه الذباب .

(٤) رواه الطبرانى .

والتحجب داخل المنزل لا يمنع المرأة حوارها وجدالها للرجال لإظهار حق أو إبداء رأى ، لا لهدف الميوعة .

دخلت أسماء بنت عميس على حفصة زائرة . . فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها ، فقال عمر حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت : أسماء بنت عميس ، قال عمر : الحبشية هذه (١) ؟ البحرية هذه (٢) ؟ قالت أسماء : نعم. . قال عمر : سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم ، فغضبت وقالت : كلا والله كنتم مع رسول الله ﷺ ، يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم ، وكنا فى دار البعداء والبغضاء بالحبشة وذلك فى الله وفى رسوله (٣).

وعن قيس بن أبى حازم قال : دخل أبو بكر على امرأة من أحمس يقال لها زينب بنت المهاجر فرأها لا تتكلم فقال : ما لها لا تكلم ؟ قالوا : حجت مُصْمتة « أى نذرت الحج صائمة عن الكلام » قال لها : تكلمى فإن هذا لا يحل ، هذا من عمل الجاهلية، فتكلمت وقالت: من أنت » (٤) .

عن عوف بن أبى جحيفة عن أبيه قال : آخى الرسول ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء مُتَبَذِلة ، فقال لها : ما شأنك؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا (٥) .

وعن الشعبى قال : دخلت على فاطمة بنت قيس فأتحفتنا برطب يقال له: رُطب ابن طاب ، وأسقتنا سويق سُلْت ، فسألتها عن المطلقة ثلاثا أين تعتد (٦) ؟

عن أسماء بنت أبى بكر قالت : جاءنى رجل فقال : يا أم عبد الله ؛ إنى رجل فقير أردت أن أبيع فى ظل دارك ، قالت : إنى إن رخصت لك أبى ذلك الزبير « زوجها » فتعال فاطلب إلىَّ والزبير شاهد ، فجاء فقال: يا أم عبد الله ،

---

(١) يقصد بالحبشية : التى هاجرت للحبشة .

(٢) البحرية هاجرت عن طريق البحر .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه البخارى .

(٥) رواه البخارى .

(٦) رواه مسلم .

إنى رجل فقير أردت أن أبيع فى ظل دارك فقالت : مالك فى المدينة إلا دارى ! فقال لها الزبير : مالك أن تمنعى رجلاً فقيرًا يبيع [1] .

وثبت أن أم شريك كانت تفتح بيتها للضيفان ، فينزل عليها المهاجرون من أصحاب النبى ﷺ وكأنه منتدى خير .

قد يظن البعض أن حجاب المرأة ـ بمعنى الاحتجاب داخل منزلها عن الغرباء ـ هو من أحكام الدين الإسلامى الحنيف ، وقد يعتقد آخرون أن مقولة : « لا خروج للمرأة من بيتها إلا إلى قبرها » هى فكر إسلامى أو مقولة لفلاسفة أو علماء مسلمين ، فكل ذلك ليس من الإسلام فى شىء ، وإنما هى عادات تأصلت فى النفوس فأصبحت جزءًا من تراثنا ومن العرف السارى فى المجتمع ، والذى ينشأ نتيجة الابتعاد عن الدين أو عدم فهم أحكامه .

ثالثًا : المشاركة واللقاء فى المسجد وخارجه للصلاة وللعبادة :

يقول تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف : ٣١] . والنداء لبنى آدم رجالاً ونساءً ، ويقصد بالزينة الطهارة والنظافة ولبس الجديد أو أفضل ما يتاح من ملبس مع مراعاة آداب التزين للرجال والنساء .

قال الرسول ﷺ : « إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن»[2] وثبت أن امرأة لعمر بن الخطاب كانت تشهد صلاة الصبح والعشاء فى جماعة فى المسجد فقيل لها : لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار ؟ قالت : وما يمنعه أن ينهانى ؟ قال : يمنعه قول رسول الله ﷺ : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » [3] .

وقال الحافظ ابن حجر : وقع بيان كيفية التحول « تحويل القبلة من بيت المقدس للبيت الحرام ، فى حديث ثويلة بنت أسلم عند ابن أبى حاتم . . . وقالت فيه : « فتحول النساء مكان الرجال والرجال مكان النساء ، فصلينا

---

(١) رواه مسلم .

(٢) الحديث عن عبد الله بن عمر ، ورواه البخارى ومسلم ٢ / ٤٩٢ ، ومسلم ٢ / ٣٢.

(٣) الحديث عن عبد الله بن عمر ، ورواه البخارى ، ٣ / ٣٤ .

السجدتين الباقيتين إلى البيت الحرام »[1] .

وعن عائشة قالت ، كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله ﷺ الفجر متلفعات[2] بمروطهن[3] ثم ينقلبن[4] إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة لا يعرفهن أحد من الغلس[5]وثبت أن النساء كن يصلين كل الصلوات ومنها صلاة العيدين[6] وصلاة الكسوف والخسوف ، وصلاة الاستسقاء ، وكل تلك الصلوات خارج البيت .

كما ثبت اعتكاف نساء الرسول ﷺ ونساء الصحابة ، كما كانت النساء تتلقى العلم عن الرسول ﷺ فى المسجد ويناقشنه فى أمور الدين ، ولا ينكر أحد مشاركة الرجال والنساء فى الحج وإقامة شعائره بلا تفرقة .

رابعًا : تلبية النداء العام والاجتماع لدراسته وحضور الاحتفالات :

« عن فاطمه بنت قيس : فلما انقضت عدتى سمعت نداء المنادى: الصلاة جامعة . فانطلقت فيمن انطلق من الناس فكنت فى الصف المقدم من النساء»[7].

هذا ، وقد شاهدت السيدة عائشة الاحتفال بعيد فى المسجد فعنها أنها قالت: لقد رأيت رسول الله ﷺ يومًا فى باب حجرتى والحبشة يلعبون فى المسجد ورسول الله ﷺ يسترنى بردائه أنظر إليهم[8] .

وهكذا نرى أن الحجاب لا يعنى السجن للنساء أو الحجر على آرائهن وفكرهن وحريتهن .

---

(١) فتح البارى ٢ / ٥٢ ومرجعنا : موسوعة تحرير المرأة فى عصر الرسالة لعبد الحليم أبى شقة .

(٢) متلفعات: مغطيات الجسم مع الرأس أو الراس فقط .

(٣) مروطهن : ثوب غير مخيط تتلفع به المرأة أو تضعه حول وسطها .

(٤) ينقلبن : يرجعن .

(٥) الغلس : الظلام بعد الفجر .

(٦) البخارى ٢/ ١٩٥ ، ومسلم ٢/ ١١٨ .

(٧) رواه مسلم ٨/ ٢٠٣ .

(٨) رواه البخارى ٢/ ٩٥ ، ومسلم ٣/ ٢٢ .

المبحث الخامس

الحجاب بين المؤيد والمعارض فى بداية الدعوة لتحرير المرأة

بدأت الدعوة لتحرير المرأة فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى فى مصر والعالم العربى ، وقد سبقتها أوربا وأمريكا بسنوات ، ومن الطبيعى أن كل دعوة جديدة تتعلق بأمور لم يألفها المجتمع تواجه بالرفض من الكثيرين ـ بغض النظر عن صحتها أو خطئها ـ وعلى ذلك فقد واجهت هذه الدعوة الرافضين والمؤيدين، وكل له أسبابه ومبرراته ، ويمكن القول أن كل حقائق الدنيا تقبل الأخذ والرد ما عدا حقيقة واحدة لا خلاف عليها وهى الموت .

ومن القضايا التى أثارت الجدل وما تزال وسوف تظل قضية حجاب المرأة ، وقد تمت مباحثة « مناظرة » بين الداعين للسفور والمتمسكين بالحجاب فى جريدة الأهرام المصرية للفترة من ٢٤/ ٢/ ١٩١٥م حتى ٢٧/ ٥/ ١٩١٥م أى لمدة ثلاثة أشهر ، نشر خلالها أكثر من ثلاثين مقالاً بين مؤيد ورافض . . . وبقى لديها ما يربو على مائة رسالة أخرى [١] .

وسوف أعرض لبعض هذه الآراء بادئا بالمؤيد ثم المعارض مع التعليق . . كما أود أن أنبه القارئ أن التأييد كان للسفور ورفع الحجاب بمعنى الدعوة لكشف الوجه والكفين فقط ، والخروج من البيت بهدف التعليم والعمل عند الضرورة ولم يخطر ببال أى مؤيد زينة المرأة الصناعية من مكياج ، وحلاقة شعر « كوافير» وتفليج أسنان ، وعرى باسم الموضة وإظهار مفاتن وغير ذلك مما وصلنا إليه اليوم من مخاز باسم التحرر .

---

(١) د. يونان لبيب رزق : المرأة المصرية بين التطور والتحرر المجلس القومى للمرأة.

(٢) المرجع السابق ص١٣٤ ، وحساب الأيام كان يوم كتابة هذا الرأى سنة ١٣٣٤هـ أى منذ ٩٠ عاما حيث إننا اليوم سنة ١٤٢٤هـ ، ويراعى زيادة ٦٠٠ عام لم تتحجب فيها المرأة.

الآراء المؤيدة للسفور :

تقوم هذه الآراء على عدة محاور يمكن إيضاحها فيما يلى :

المحور الأول :

الحجاب ليس من شريعة الإسلام ، ولو فرض أنه من الشريعة فيجب مراعاة تطور المجتمعات وتغيير الزمان ومتطلبات الناس، ومما قيل : « سلوا أغاخان فى كتابه « المرأة فى الإسلام » يجبكم عاشت المسلمـات ٦٠٠ عام من التاريخ الهجرى سافرات الوجوه . . . كفى عبودية ٧٣٤ سنة ، إذن نحن الآن فى عام ١٣٣٤هـ ، كفى سبعة قرون ونيفا استعبادًا ، ٢٦٠٥٧٠ يومًا وكل يوم ٢٤ ساعة».

ويقول رأى آخر (١) : « إذا كان الإسلام قد أمر بالحجاب فإنما أمر به فى القرون الوسطى ، ونحن اليوم فى القرن الحادى والعشرين ويجب أن نراعى أحوال الزمان والمكان فى تطبيق الشرائع والقوانين » (٢) .

ولا يغيب عن القارئ أن المسلمات الأوائل قد تحجبن وكانت طائفة كبيرة منهن يغطين الوجه واليدين ، وكلهن يغطين الشعر ، ولا يتزين إلا للأزواج ورحم الله السيدة عائشة أم المؤمنين ورضى عنها حيث قالت : « رحم الله نساء المهاجرات الأول : لما نزل : ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور : ٣١] شققن أزرهن فاختمرن بها » رواه البخارى .

ونحن نتساءل : ألم يجد داعى السفور من آراء المسلمين ما يسترشد به فى السفور إلا رأى أغاخان ؟! أين أصحاب المذاهب وعلماء المسلمين ؟ ويجب التنويه إلى أن شرائع الإسلام لا تتغير بتغير الزمان والمكان والبشر ،ولكن بها من

---

(١) المرأة المصرية بين التطور والتحرر ص١٣٣ . والكلام فى بداية القرن العشرين وليس فى نهايته وإن استمرت نفس الفكرة الخاطئة هذه لليوم وغدًا .

(٢) لم يتعرض الكاتب د. يونان لبيب رزق لدفاع المعارضين للسفور من علماء الإسلام وإثبات أن الحجاب من آداب الإسلام بل والأديان الأخرى اليهودية والمسيحية ، ويمكن للقارئ الرجوع لمبحث الحجاب فى الإسلام لمعرفة الأصل الشرعى للحجاب ومعناه .

المرونة التشريعية ما يناسب ذلك ، فالحد الأدنى للسفور هو كشف الوجه والكفين فقط بلا زينة ، والحد الأعلى هو الغطاء الكامل . . . وكل مجتمع أو أفراد لهم أن يتمتعوا بما يناسبهم من أحكام ولا يخرجوا عنها .

المحور الثانى :

يرى مؤيدو السفور أن المهم هو التربية السليمة وحُسن الخلق لا الحجاب.

فتقول إحدى النساء مدعية أن الحجاب لا يمنع اقتراف الخطايا: حيث لم يمنع الحجاب المنكرات إحدى النساء : « التربية هى أساس الأخلاق ونموذج الطهارة ، أرونى فتاة مهذبة أصرح لكم ألا تقيدوها بهذا الحجاب الشفاف الرفيع ، يعجبنى بنت الريف الفطرية بردائها البسيط ووجهها الصبوح ، وهى تحيى عارفيها بمنتهى السذاجة والإخلاص . . . إنى أصرح جهارًا بأن هذا الحجاب كان واسطة لارتكاب موبقات تميد مع هولها الأرض ، وتهتز لذكرها السماء » (١) .

ويرد مؤيدى الحجاب على هذا الفكر فيقولون : « لماذا لا نحارب الرذيلة بسلاحين سلاح التربية وسلاح الحجاب ؟ لماذا يمنع الحجاب ؟ هل لأنه يحفظ لها حياءها ، وهو الذى يمثل ملاك الطهارة والعفة والحد الفاصل بين الفضيلة والرذيلة ؟ . . إن رفع الحجاب وكشف الوجه سيؤدى إلى تنافس النساء لإظهار الحُسن وإيضاح الجمال » (٢) .

ومن العجيب أن أحد آراء دعاة السفور قال : « إنى لا أرى يأسا . . أن يختار الشاب زوجته من قاعات المراقص ، ويتمنى أن يكون عندنا الروح الفاضلة التى يرقصون بها ، فهنا يظهر منتهى العفاف ، وليس الحجاب المحط للإنسانية وللأخلاق . . . إن هذه المراقص ليست كما تظن من الخلاعة ؛ بل إنها تقام فى

---

(١) المرأة المصرية بين التطور والتحرر ص١٣١ ، وهو رأى لمراسلة للأهرام فى مارس ١٩١٣م.

(٢) المرجع السابق ص١٣٢ ، ونحن نتفق مع الرأى القائل بأن الحجاب كان واسطة لارتكاب كثير من الموبقات ، وربما يُقصد من ذلك ارتداء بعض الرجال للحجاب لدخول البيوت والزنا مع بعض نساء متخفين وراء الحجاب . . ولكن ذلك نادرًا ما يحدث وبالطبع فإن من يفعل ذلك مستغلاً أحكام الدين سيفعل أكثر من ذلك فى حالة السفور وستزيد الموبقات عشرات المرات .

الجامعات » [1] .

وكان رأى مؤيدى الحجاب : « حدثنى بالله كيف يكون حال الشاب إذا ما ملئت بطنه بأصناف الخمور ، فضاع عقله ، وتسلط عليه هواه ، فوجد بين يديه غادة هيفاء قد تحلت بأحسن ما لديها ، وكشفت له عن معظم جسمها « سواريه يا فندم » فخاصرها وخاصرته وأترك لك الباقى فأنت به أدرى » [2] .

ونحن نلتمس لهذا الرأى المؤيد للمراقص العذر حيث لم تظهر آثار هذه الموبقات فى عهده ، وكانت الدعوة للتحرر فى الغرب فى بدايتها ، ولم تكن قد ذهبت بالأخلاق والآداب حينذاك ، ولكنه لو عاش بعد ذلك لندم على رأيه والله أعلم ؟! والحجاب لا يمنع المنكرات ولكن يحد منها ، فالفضيلة الكاملة ليست على الأرض ولكنها فى الجنة .

المحور الثالث :

الحجاب هو أسر للمرأة فى البيت مانع للحرية والتعليم وتقدم الأمم ورقى المجتمعات .

وتقول إحدى النساء مؤيدة السفور : « مسكينة هى حواء ، ذليلة هى المرأة المصرية محكوم عليها من فرعون القاضى الغشوم بالسجن المؤبد مدة الحياة ، فمن الدار إلى جنة أو نار ، من المنازل إلى المدافن، من القصر إلى القبر ، من الرَمَسْ إلى جحيم أو فردوس ، وليعاقب الله الظالم ، كما هوجم الباستيل وكسرت أبوابه فى القرن الثامن عشر . . يجب أن يفتح الباب للمرأة بسلام »[3].

ويقول آخر : « كل ما نريده أن لا تحرم المرأة من حظها من العلم الصحيح والتربية الحقة وإزالة العقبات من هذا الطريق ، والحجاب فى مقدمتها ، والمرأة متى ارتقت أول درجة من درجات السفور أدركت عظم منفعته وأخذت هى تسعى للوصول فيه إلى حد الكمال المعقول » [4] !!

ويدافع مؤيدو الحجاب عن ذلك فيقولون : « من ذا الذى يقول بأن المرأة

---

(١) المرأة المصرية بين التطور والتحرر ص٩٣ .
(٢) المرجع السابق ص٩٤ .
(٣) المرجع السابق ص١٣٦ .
(٤) المرجع السابق ص ١٣٧ .

محجوزة عن العلم بالحجاب ؟ وهل الحجاب يمنع من ذهاب البنات إلى المدارس محتشمات متأدبات ؟ وهل يمنعهن من حضور المحاضرات العلمية وسماعها ؟ هل يمنعن من تأسيس جمعيات وأندية علمية يجتمعن فيها بعيدات عن الرجال لهن نهضة نسائية خاصة بهن ؟ » (١) .

وعن أهمية المرأة للبيت الذى هو غاية منى المرأة العاقلة . . التى تعد فيه ملكة داخل مملكتها لا أسيرة داخل سجن ، يقول دعاة الحجاب : « إن المرأة خلقت للبيت ولا تفكر لحظة فى تحرير نفسها من ذلك الأسر المحبب إليها ، فإنها عندما تفرغ من تربية أولادها وغرس مبادئ الشرف فى نفوسهم ، فإنها لا تهتم بأن تلعب دوراً فى العالم الخارجى وأنى لها الزمن ؟ » (٢) .

المحور الرابع :

الحجاب يمنع زواج المرأة ويؤدى إلى العنوسة ، « الحجاب هو سر بوار سوق الزواج ، فأغلب الشبان يحجمون عن دخول قفص الحياة الزوجية ، ليس بسبب سوى عدم السماح لهم برؤية زوجات المستقبل . . . . ، والفتاة المصرية لا تحصل على الزواج لأن الشاب المتعلم لا يرضى أن يتزوج ممن تسىء تدبير منزله وأحوال معيشته . . . كل شاب وفتاة يجب ألا يتزوجا . . إلا إذا رأيا بعضهما حتى يمكنهما المعاشرة فى السراء والضراء على سُنة الدين والشرع » (٣) .

ولا شك أن الحجاب بهذا المفهوم يؤدى إلى الإحجام عن الزواج ويجب مراعاة أن أحكام الإسلام الخاصة بالحجاب لا تمنع رؤية الخطيب لخطيبته المنتظرة، أو النظر المتبادل لكليهما وموافقة العروس على الزواج .

ويلاحظ أن كثيرا من الشبان يلجؤون فى الاختيار إلى ذات الدين وللمرأة المتمسكة بالحجاب ، فعند اللهو والعبث يتمتعون بالسافرة وعند الاختيار والزواج

---

(١) المرأة المصرية بين التحرر والتطور ص١٣٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٣٨ .

هذا ، وقد أثبت الواقع أن نجاح المرأة خارج بيتها أدى إلى فشلها داخله ، فكيف نحكم عليها بالأشغال الشاقة المؤبدة فى عملين ؟!!

(٣) المرجع السابق ص١٣٧ .

يختارون المتحجبة ، والإسلام لا يمنع المرأة من التعليم بكافة أشكاله لتحقيق هدف أساسى وهو حسن القيام بأعمال الزوجية والأمومة وإدارة المنزل ، ثم لهدف فرعى وهو العمل عند الضرورة .

المحور الخامس :

إن السفور هو سبب تقدم الغرب وتأخر الشرق ، وقد تأثر دعاة السفور بقول قاسم أمين : « الأمم الغربية لم تتقدم هذا التقدم الباهر إلا بفضل نسائهن الراقيات المهذبات ، فإذا أمعنا النظر فى الفارق العظيم بين المرأة الشرقية والمرأة الغربية ، لوجدنا من أول وهلة أن أهمها سفور المرأة الغربية وتمتعها بحريتها ، وتحجب المرأة الشرقية بالقناع وانزوائها عن عالم الحياة الاجتماعية»(١) .

وفى افتتاحية للأهرام فى ١٥/ ٤/ ١٩١٩م جاء « تقدم الأمم مرهون بأعمال المرأة ، وحديث النساء النابغات يملأ التاريخ ، حتى تاريخنا الطافح بذكرى العالمات والفقيهات والشاعرات وربات المتاجر والأعمال والسياسة وشؤون الملك، ومنذ سكوته عن ذكرهن كان بدء الجمود ثم الانحطاط » (٢) .

ولا شك فى صحة افتتاحية الأهرام هذه ، ولكنا نقول : إن ما وصلت إليه المرأة من علم وفقه وفكر كان فى عصر الالتزام بتعاليم الإسلام ومنها الحجاب، كما أن التاريخ أثبت بعد تجربة تحرر المرأة فى الغرب أن هذا التحرر أدى إلى مساوئ لا حصر لها ، مما دعا علماء الغرب للمطالبة بالعودة إلى الحجاب .

ويجب التنويه بأن دور المرأة فى الغرب الذى أدى إلى تطوره كان فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث اضطرت للنزول إلى العمل وسوق الإنتاج ، نتيجة لانخفاض القوى العاملة من الرجال الذين ذهبوا ضحايا الحرب ، وعندما عادت المرأة فى طلب الحرية ظهرت أمراض تحرر المرأة ، الاجتماعية والاقتصادية والصحية وغيرها .

وقبل أن نغادر المقام نود بيان أن كثيرا من المطالبين و المطالبات بتحرر المرأة،

---

(١) المرأة المصرية بين التحرر والتطور ص١٣٧ ، والفقرة مقتبسة من كتاب : المرأة الجديدة .
(٢) المرجع السابق ص ١٤٣ .

نادوا بشعارات براقة لا حق فيها ولا حقيقة ، ومنها :

الحجاب حجب للعقول !! وتغطية الرأس تغطية للعقل [1] « ليس ممكنا يا فتاة أن تنزعى القناع فتهديه لدار الآثار وأن يكون تذكاراً سيئًا . . . تلك أمكم كيلوباترا أسرت القائد الرومانى » [2] .

وقد لاحظ الكاتب د.يونان لبيب رزق عدة ملاحظات بين طرفى معركة الحجاب والسفور منها :

« بينما غلبت على السفوريين الثقافة الغربية فقد بدت غالبية الحجابيين من أنصار الثقافة السلفية ، الأمر الذى اكتشفناه من الاستشهاد الواسع من جانب الأولين بكتابات أوربية، ومن جانب الأخيرين بالعودة إلى كتب التراث » [3] .

ولنا أن نلحظ قول الكاتب « أنصار الثقافة السلفية » ، فلم لم يقل أنصار الشريعة الإسلامية ؟! إنه يريد أن يوهم القارئ أن الثقافة السلفية بمعنى الفكر الإسلامى المتخلف القديم !

والواقع أن الثقافة السلفية هى الفكر الإسلامى الأصلى السليم ، لقول الرسول ﷺ : « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » فالاقتداء بالسلف الصالح وكتب التراث هو العودة الصحيحة للدين .

هذا ، وقد تنبأ المفكر الإسلامى محمد فريد وجدى المعاصر لقاسم أمين دعوة تحرير المرأة بالمفهوم الغير إسلامى بأضرارها فقال:

إن إغراق الرجل فى ذكر حقوق المرأة إلى الدرجة التى جعلها مذهبا اجتماعيا، إنما يشكل وجهًا من وجوه التدليس ، إذا كانت نتائجه « شراً أشد على المرأة من كل شر وقع منه عليها ، فإنها ما لبثت أن رأت نفسها مسترجلة ، تعمل معه فى المعامل وتكد طوال النهار وطائفة من الليل ، فى المحاولات الجسدية

---

(١) من العجيب أن هؤلاء لم يعترضوا على تغطية رأس الرجل بالعمامة أو الطربوش أو غيره.

(٢) المرجع السابق ص ١٣٦ . لو علمت القائلة كيف أسرته كليوباترا لاستحت من ذكر ذلك.

(٣) المرجع السابق ص١٣٥ .

المضنية لتكسب قوتها اليومى . . وإن الذين ينادون بخروج المرأة إلى ميدان الحياة والعمل لا يريدون لها سوى ارتياد النوادى والملاعب والمتنزهات والحفلات بالأنوار والمجالس التى يأخذ سناها الأبصار » (١) .

وقد صدقت هذه المقولة للعالم الكبير محمد فريد وجدى، وتحققت هذه النبوءة الآن وظهر بوضوح تام أن دعاة التحرر يهدفون فى الحقيقة إلى مهانة المرأة وتحررها من كافة الفضائل والآداب الدينية والإنسانية ، وتعدى شقاؤها نفسها إلى غيرها، فعانى المجتمع بأسره من مساوئ ومضار تحرر المرأة .

(١) المرأة المصرية بين التحرر والتطور ص ٤٧ .

obeikandl.com